AMBITION AND A HUMP

# طُمُوحٌ وسنام

## قراءة إنسانية في رحلة الأكاديمي السعودي

د .سند بن مطلق السبيعي

سيرة ومسيرة

AUTOBIOGRAPHY

سلسلة إصدارات
مركز العَالِم للتوثيق التنموي والإنساني ( ٢ )

# طُمُوحٌ وسَنَام

## قراءة إنسانية في رحلة الأكاديمي السعودي

د .سند بن مطلق السبيعي

الإشراف العام
أ.د محمد الطريقي
الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

**طُمُوحٌ وسنام/سيرة ومسيرة**
عدد خاص رقم (٢٥٨) من مجلة العَالم لشهر سبتمبر ٢٠٢٠م
رئيس التحرير: **محمد الطريقي**
مستشار التحرير وصناعة المحتوى: **أسامة الزيني**

**مؤسسة العَالم للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع**
المركز الرئيسي: شارع المهلب بن أبي صفرة - حي الربوة
ص.ب: ٩١٤٠٩ الرياض: ١١٦٣٣
جوال: ٠٥٤٢٣١٩٦٨٠ ٩٦٦+ - المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني:
www.alaalem-media.com

بريد إلكتروني:
ce@alaalem.org - malturaiki@profalturaiki.com
malturaiki@yahoo.com - dr.alturaiki@hotmail.com

التصميم والإشراف الفني:
شمس الدين عبدالله إبراهيم
صورة الغلاف: علي السيلاوي

ⓒ جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

© All rights reserved, No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writting of the publisher.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - المملكة العربية السعودية
الرقم الدولي المعياري: ٦٥٤٥ - ١٣١٩ - رقم الايداع: ١٨ / ٠١٥٧

# الفهرس


مقدمة ..... ٧
خُـبْزُ الحَنِين ..... ١٧
قهوة الذاكرة ..... ٥٣
رحلة مع مرتبة الشرف ..... ١٠٣
الحادي والإبل ..... ١٣٥
الحَصاد ..... ١٦١
عام الحزن ..... ١٦٧
الخاتمة ..... ١٧٥

## إهـــداء

يَا حَادِياً في فَيَافي العمرِ رِحْلَتَهُ
إنَّ المآثِرَ يشْـدو لحْنَهـا الأمـــدُ
قُم احْمِلِ الضوءَ للأجْيَالِ تتبعهُ
وكن لهم في المَعَالِي دائماً سَنَدُ

شعر..
**د. عبدالله عزيز**

## إضاءات مشرقة...

### المكرم الدكتور الرائع سند بن مطلق السبيعي

كم هي سعادتي بالغة بكتابكم الموسوم «**طموح وسنام**» وقد استعرضت الكتاب حتى نهايته فهو ملهم لمن يطلع عليه لاحتوائه الكثير من العبر والتحديات والنجاح والإصرار الذي ليس له حدود والبر المتناهي وفقك الله ورفع قدرك وادام فضلك وزادك من فضله واحسانه.

**محبكم**

**د. يوسف عبدالله العريني**

---

### إلى دكتورنا المتميز / سند السبيعي

سعـدت كثيراً بالإهداء الغالي الذي قدمته لي كتاب «**طموح وسنام**»،واستمتعت أكثر بمعرفة مسيرة الكفاح والطموح الملهمة، أحداث كثيرة استوقفتني بمسيرتك العامرة بالإنجازات.

عرفناك صديقاً مخلصاً ناصحاً ومحباً للخير للجميع ، واليوم عرفـت المصادر التي بنيـت فيها هذة الشخصيـة المميزة، قصص وأحداث ملهمة يجب أن تنقل إلى الجيل الحالي لحثهم على المزيد من الإصرار لتحقيق أحلامهم.

كم أفتخر بك كصديق وأخ ، وأسال الله أن يديم بيننا المحبة.

وتقبل أطيب تحية من محبك.

**د.عبدالله الغنايم**

# مقدمة

# مقدمة

في وقت يرتبط فيه كثيرون بالجمل ارتباطًا ماديًا، بوصفه أحد مكونات الثروة الحيوانية في بلادنا، يذهب أبناء البادية إلى أعمق من ذلك، فتجد أحدهم يرتبط بالجمل ارتباطًا وجوديًا، فيرى فيه أيقونة هوية، وسر حياة، ورفيق درب وفي، شارك إنسان هذه الأرض أوقات شدته وعسره، وكان ملهمه الأول الذي أخذ بناصيته إلى جادة الصبر، وحاديه الذي عبر به دروب الصعاب، وفيافي التحديات، وجاد عليه بأسباب الحياة في أزمنة مجدبة، عَزَّت فيها أسباب الحياة.

فقط أبناء البادية الذين أمضوا سنوات من عمرهم برفقة هذا الخل الوفي، يرون الجمل بعين أخرى غير تلك التي قد يراه به أبناء المدن والحواضر، فما إن تقترب من ابن البادية، مهما نالت منه حياة المدنية ونال منها، ومهما ترقى في مراتب الوظائف المرموقة، تجده مسكونًا بهذا الحنين القديم إلى صديقه الأول، أنيسه، وجليسه، في صباحات البادية وأصائلها، هناك حيث أودع كل منهما الآخر أسراره، وأخذ عليه العهود والمواثيق ألا يفرط فيهما من عرى الصداقة والوفاء.

يتملكك هذا الشعور، كلما تحدثت إلى الدكتور سند بن مطلق السبيعي، أكاديمي الأحياء والبيئة، فما إن تتجاذبا أطراف الحديث حول علوم التخصص واهتماماته العلمية، ولاسيما مؤلفاته حول الإبل التي استأثرت بدور البطولة في مسيرته العلمية، وحازت حصة الأسد من مؤلفاته، تجد حديث الرجل ينضح بهذا الحنين الذي أتى به من البادية، الحنين الذي يمثل الشق الأبرز والأكبر والأعمق والأجمل في شخصيته، الحنين إلى طفولته التي أمضاها بين مضارب البادية،

هناك برفقة رجالها، وكائناتها الوفية التي يدين لها أبناء هذا الوطن بوجودهم منذ القدم، لكن ابن البادية سند السبيعي، ينظر إليها بعين أخرى، عين صديق محب لم تنسه الأيام أجمل الأوقات التي أمضاها برفقة الجمل، وهي تجربة مر بها كثير من إخواننا أبناء البادية، وارتباطهم الأصيل بها، لمسناه لديهم جميعًا، ليس في أحاديثهم فقط، بل وفي صفاتهم التي يمكنك أن تميزهم بها عن غيرهم، فتلمس في البدوي منهم تلك الصفات الأصيلة التي تدلك على العالم المنضبط شديد التشبث بقيمه الذي أتى منه، وأيضًا، شديد الوفاء لذاكرته، حتى إنه لا يخامرك شك في أن ذاكرة أبناء البادية، أثمن ما يملكون، وأنهم يعيشون على مشاهدها، ويبنون مواقفهم، ويتخذون قراراتهم، في ضوء ما تمليه عليهم تعاليم البادية التي تلقوها على أيدي الأجداد هناك.

لكن ما استوقفني في شخصية الدكتور سند السبيعي، دون غيره من أبناء البادية، فضلاً عن منجزه العلمي الطموح، ورحلته الشاقة التي أقدمها هنا بين

أيــدي الأجيــال؛ لتكون مصدر إلهام لهــم، أن وفاءه لصديقــه الأول، الجمل، تجــاوز مشاهــد ذاكرته التي تسكنــه، إلى أنه قرر أن يهب الشطر الأكبر من مسيرته العلمية لهذا الصديق، ويكون لسان حاله المدافع عنه، وعن أهميته الوجودية التي لم تتأثر بتغير الزمن، وفق ما يراه الدكتور سند ويؤمن به، ويقدم عليه الأدلة العلمية التي حفلت بها مؤلفاته، أنه قرر أن يرعاه كبيرًا كما رعاه صغيرًا، وأن ينتصر لدوره الذي لم يزل كبيرًا، لم تنل منه حداثة الحياة في بلد التحق بركب التطور منذ عقود ويواصل التقــدم على مضاميره بعــزم، لكنه ظل في حاجة إلى حماة يقفون على ثغوره التي قد تمثل تهديدًا لقيمــه أو مكتسباته، في غمــرة انشغال الجميع بالتقدم إلى الأمام، وهنا يأتي دور أمثال الدكتور سند من أبناء المملكة، ليعلقوا الجرس للجميع، حتى ينبهوهم إلى ما قد يقع منهم سهوًا تحت الأقدام، وهو، وإن كان دورًا علميًا بالأساس، إلا أنه في حالة الدكتور سند، لا يخلو من عاطفة تجاه الجمل الــذي يرتبط به وجوديًا، بالقدر نفسه الــذي يؤمن به بأهميته وفوائــده الكبيرة وقدرته

علـى تعزيز الثروة الحيوانية بالمملكة أكثر من أي شيء آخر، وتعزيز الأمن الغذائي بمنتجاته الحيوانية المتميزة، وأيضًـا إثراء المجـال الطبي والمسـار العلاجي بكنوز جسم هـذا المخلوق الذي أراد الله لـه أن يكون رفيق درب لأبناء هذا الوطن، مهما بلغوا من العلم والمدنية.

ولعله يجدر بي، في هذا المقام، أن أشير إلى أن هذه الوقفة الطويلة أمام الارتباط الوجودي بين المؤلَّف له الدكتور سند السبيعي والإبل، ليس كل شيء في هذه السيرة السخية بمواطن الإلهام، وهذا ما نعول عليه في إصداراتنا، أن نبحث عن السير الملهمة التي كافح أصحابها، وتحملوا الصعاب والمشقات، وتجاوزوا العراقيل تلو العراقيل ليواصلوا طريقهم الصعاب، على أمل أن نلقي بحجر كبير في بركة المياه الراكدة، فنشحذ همة هذا، أو نوقظ إرادة ذاك من أبناء هذا الوطن وبناته، حين يطالعون في ثنايا هذا المؤلَّف، فيرون ما واجهه مواطنهم الدكتور سند السبيعي من عقبات كانت كفيلة بأن تنهي طموحاته مبكرًا، وتجعل منه شخصًا عاديًا يؤدي دورًا بسيطًا لا يكاد يذكر في

إحدى الجهات، ثم يتململ من الفراغ بقية يومه، بل ربما لا يؤدي أي دور يذكر، ويمضي بقية حياته يتجاهل حقيقة كونه عبئًا على من حوله، أو رقمًا زائدًا عن الحاجة في سجلات العاملين في الدولة، لكن همة ابن البادية سند السبيعي، أبت عليه إلا أن يواصل الركض على الدرب التي اختارها لنفسه، وآمن بها، على وعورتها، ومشقتها، وعلى ما ناله من إحباط، إلا أنه كان لديه من الجلد والصبر العزيمة والإيمان ما جعله يتحدى جميع مثبطات العزيمة، ومضادات الصبر، ومعوقات الإرادة، ويواصل بروح عداء طويل النفس، حتى وصل إلى خط النهاية، لكنه لم يقف أمامها منهك القوى، يلتقط أنفاسه، بل اتخذ من خط النهاية، نقطة بداية أخرى، انطلق منها نحو سباق جديد، هكذا دأب سند السبيعي على أن يتخذ من كل خط نهاية، نقطة انطلاق لسباق جديد، لمنجز جديد، يضيف سطرًا جديدًا إلى سيرته التي قرأتها بسعادة من وقع على كنز يستحق التوقف أمامه، فأخذ يحصي جواهره ونفائسه، ليهديها لأجيال سعيدة الحظ، لديها من

الإمكانات والفرص ما لم يكن معشاره متاحًا لسلفهم الدكتور سند، لكن الرجل أكمل النواقص من رغبته في النجاح والتميز، وضاعف جهده وطاقته ليعوض ما لم يكن متاحًا له آنذاك، لكنه متاح اليوم لأجيال وطننا الجديدة، الأجيال السعيدة التي خشينا أن ينال رغد العيش ونعومة الحياة من هممها، فأطلقنا هذه السلسلة الوثائقية التنموية؛ لتضع بين أيديها قصص الملهمين من أبناء الوطن؛ لتكون لهم زادًا في درب رحلتهم، يمتاحوا من معين عزائمها كلما فترت عزائمهم، ويغترفوا من آبار هممها كلما وهنت هممهم، ويتقووا بروح جَلَدِها كلما تراخى جَلَدُهُم، ويحقنوا عروقهم بجرعات صبرها، كلما نفد صبرهم.

بين يدي أجيال الوطن، أقدم هذه الشهادة الطويلة على رحلة حياة الدكتور سند السبيعي، ابن البادية البار، ووريث أهلها القوي، وصديق كائناتها الوفي الذي قدم على مدار رحلة حياته شاهدًا حيًّا على وفائه لها، يغنيه عن شهادتنا أو شهادة غيرنا له، ويجعل منه بحق سفير البادية، والناطق الرسمي باسم

أهلها، والمتحدث في المحافل عن قيمها، وحامل أختام أسرارها، وسادن ثرواتها الأمين.

**البروفيسور/ محمد الطريقي**

# خُبْزُ الحَنِين

# خُـــبْزُ الحَنِين

الإنسان أسير عاداته، وأسير مشاهده الأولى التي بدأ بها رحلته في العالم، وأسير ذكرياته القديمة، وأسير الوجوه التي ولد بينها وارتبطت بتلك الذكريات، وألف أحاديثها، وقلَّدَ لسانَها وهو يحاول نطق حروفه الأولى في هذا العالم، لكنّ هذا كله يبقى واقعًا تفرضه الظروف، ويفرضه الاعتياد، فغالبًا، لا تُتاحُ لأحدنا الفرصة في سنوات عمره الأولى لاختيار الأرض التي يحبها ويشعر بالانتماء إليها، تمامًا كما أن أحدنا لا يختار الوجوه التي يرغب في الحياة بينها، ولهذا يبقى الحنين

لُمدننا وقرانا وأحيائنا القديمة، مهما تقدم بنا العمر، ومهما تنقلَنا بين أرقى مدن العالم، جزءًا من تكويننا الإنساني لا يمكننا الانفصال عنه، بل نتشبث به كأنه سرُّ بقاء.

لكن اللافت في خريطة رحلة الأكاديمي السعودي الدكتور سند بن مطلق السبيعي، أنه من القلة التي أتيحت لها فرصة الاختيار بين حياتين، وبين بيئتين شديدتي التباين، في مرحلة مبكرة من العمر، تعود إلى سن التاسعة ربما؛ ليختار بينهما، واللافت أكثر، بل الغريب، أنه اختار البيئة التي لم يولد ولم يعش فيها، ولم يعتد مشاهدها أو وجوهها، فضلاً عن أنها الأصعب والأقل ثراءً، بل ربما تكون بيئة مجدبة، إذا ما قورنت ببيئة المدينة التي ولد بها، ويُفترض أنه بدأ أول خطواته في الحياة، ونطق أول حروفه، ووعى الحياة، فيها، وهذا يترك بين أيدينا سؤالاً كبيرًا، سنحاول الوصول إلى إجابته.

وُلد الطفل سند السبيعي في المنطقة الشرقية لأب يعمل موظفًا في السكة الحديدية، هناك في المنطقة الشرقية، في منزلهم الخشبي البسيط المتاخم لقضبان

القطار، في ستينيات القرن العشرين الميلادي، حيث تنفس الصغير سند أنفاسه الأولى، وتعلم الكلام، وامتلأت عيناه بمشاهد المكان المختلف الذي كان الأكثر اكتنازاً بمشاهد الحياة الاجتماعية والمدنية، قياسًا إلى غيره من بقية مدن المملكة التي كانت، بعدُ، تعاني شح الحياة وضيق الأرزاق، في زمن مبكر لم تكن فيه عوائد النفط بعد بدأت تتحول إلى طفرة اقتصادية، يعم خيرها الجميع، فقط كانت المنطقة الشرقية، حيث شركة الزيت (أرامكو)، والميناء حديث النشأة، ومحيطهما الجغرافي، بقعة منتعشة اقتصاديًا، ووجهة للهجرة الداخلية، حيث كان كثير من أهالي المملكة المتطلعين إلى تحسين أوضاعهم المالية، ينتقلون إلى العيش هناك على ضفاف آبار النفط المكتشفة حديثًا، وأرصفة الميناء الجديد الذي بدأ يستقبل بضائع العالم، وفي المقابل يحمل إلى العالم أولى شحنات النفط الذي تفجر في صحراء البلاد ليبدأ كتابة تاريخ مزدهر يعوض أهلها سنوات الماضي العجاف، ويكافئهم على سنوات

الصبر والكفاح التي عاشتها أجيال الآباء والأجداد؛ لينعشوا اقتصاداتهم الشخصية برواتب وظائف شركة الزيت، والميناء، والقطاعات الأخرى التي نشطت حولهما لتوفر لنشاطهما الدعم اللوجستي، وهي رواتب لم تكن ضخمة بعد، إلا أنها، قياسًا إلى أحوال الناس المادية في معظم مدن المملكة وقراها آنذاك، كانت تستحق أن يُهاجِر أحدهم إليها.

لكن شركة الزيت (أرامكو) لم تكن توفر البيئة الاقتصادية النشطة في محيطها الاقتصادي وحسب، بل كانت تقدم الأهم من المال، حيث شهدت المنطقة الشرقية بفعلٍ وجود هذا العملاق الاقتصادي العالمي الوليد، وأيضًا بفعل إنشاء الميناء التجاري الأول في المنطقة الشرقية، طفرة تعليمية في مدارسها بدأت قبل الطفرة الاقتصادية، سواء في مدارس أرامكو التي التحق بها أبناء منسوبيها، أو في مدارس الدولة التي توسعت في إنشائها في منطقة لها تاريخ قديم في التعليم والثقافة، التاريخ الذي أصبح أكثر ازدهارًا بعد افتتاح الميناء، ونمو الحركة بقوة بين المنطقة الشرقية

ومنطقة الرياض، في ظل انتعاش الأعمال الذي شهدته المنطقة بفعل شركة الزيت والميناء؛ ما جعلها إحدى أهم وجهات الهجرات الداخلية، فكانت هذه فرصة للجميع للحاق بالتعليم، سواء الكبار الذين ذهبوا للعمل فيها، أو أبناؤهم الصغار، حيث تحول المحيط الجغرافي للميناء الجديد، وعملاق الزيت الوليد، إلى منطقة عالمية أيضًا، تخضع للمواصفات العالمية فيما يخص التعليم، وغيره من مناشط الحياة، بما في ذلك السكك الحديدية التي أنشئت لتسهل انتقال الناس والبضائع من الميناء وأرامكو ومحيطهما إلى العاصمة؛ لذا كانت الهجرة إلى أرامكو آنذاك، بداية رحلة كثير من رجال الأعمال، وكبار الأكاديميين، وكبار المسؤولين، هناك حيث كانت السنوات الأولى من ولادة واحد من أغنى اقتصادات العالم، وحوله ولدت أشياء كثيرة، وتحققت مكتسبات كثيرة، تتجاوز المال، إلى التعليم، وفرصة الحياة الحضرية المدنية، واكتساب الخبرات وأبجديات العمل الكبيرة التي لم تكن متاحة في أي مكان آخر، في ظل مجتمع أرامكو المزدحم

بالخبرات العالمية من الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها بلدان العالم الذين استقطبتهم الشركة، فكانت أرامكو ومحيطها الجغرافي منطقة كشف بترولي وإنساني أيضًا، بعد تفجر المواهب والخبرات السعودية على التوازي مع تفجر آبار الزيت.

وكان المواطن مطلق بن فارس السبيعي أحد أولئك الذين هاجروا مبكرًا آنذاك من الخرمة [1] التابعة لمحافظة الطائف إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة إلى المنطقة الشرقية مطلع ستينيات القرن العشرين؛ سعيًا وراء تحسين اقتصاده محدود الموارد في قريته الأم، بالالتحاق بإحدى وظائف الخطوط الحديدية في الدمام، الهجرة التي استمرت حتى عام ١٩٧٩م / ١٤٠٠هـ حين نجح في جمع مبلغ كاف لامتلاك قطيع من الأغنام يبدأ به حياته، مثلما اعتاد الناس آنذاك، حين يعود كل منهم بما تيسر له جمعه من عوائد العمل في أرامكو أو غيرها من الأنشطة الصناعية

(١) تعد محافظة الخرمة البوابة بين نجد والحجاز وتقع شمال شرقي مدينة الطائف وتبعد عنها مسافة ٢٣٠ كم.

أو التجارية التي انتعشت حولها؛ لتأسيس تجارته أو نشاطه الخاص، وفي حين كان أبناء الحواضر يعودون إلى حواضرهم لممارسة أنشطة التجارة أو المقاولات أو الزراعة أو غيرها من الأنشطة التي تَفَتَّحَ وعيُهم عليها في مدنهم وقراهم، آثر ابن البادية مطلق بن فارس السبيعي أن يكون استثماره في تربية الأغنامٍ، النشاط الرئيس لأبناء البادية الذي لا يعدونه نشاطًا تجاريًّا، بقدر ما يعدونه تميمة حياة، وسر وجود، وهوية ثقافية وإنسانية، فضلاً عن ارتباط قطاع كبير منهم، ومنهم صاحب هذه السيرة الدكتور سند بن مطلق السبيعي، بمهنة الرعي؛ «لكونها مهنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومهنة كثير من أنبياء الله عليهم السلام»[٢].. قال الدكتور سند.

(٢) عنِ جَابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ نَجْنِي الْكَبَاثَ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ. قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا!» حديث صحيح، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٤٤٩٧)، وَالْبُخَارِيُّ (٣٤٠٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٠٥٠).
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» حديث صحيح، رواه الْبُخَارِيُّ (٢٢٦٢).

هكذا تبدو خريطة الرحلة منطقية بالنسبة إلى ابن البادية الوالد مطلق بن فارس السبيعي، لكنها لم تكن منطقية أبدًا بالنسبة إلى ابنه سند، الطفل الذي ولد في المنطقة الشرقية، وأمضى فيها السنوات الأولى من عمره، حتى بلوغه سن التاسعة، أو الصف الثالث الابتدائي، وتفتح وعيه على كل شيء فيها؛ الهواء، والبحر، والشوارع، ووجوه الناس، والمدارس، والمعلمين، حياة كاملة بجميع تفاصيلها كانت تغذي خيال الطفل الصغير، وتمثل له مسرح مهده الأول الذي كان يحبو عليه أول خطواته في الوجود، لكن المفاجأة الأولى التي وجدت نفسي أمامها خلال جلسات الاستماع الأولى لسيرة الدكتور سند السبيعي، أنه في تلك السن المبكرة، كان مسكونًا بالحنين إلى الموطن الأصلي لوالده، هناك في الخرمة، حيث الأجداد، والجدات، والأعمام، والعمات، والأخوال، والخالات، وحيث الصحراء التي اجتذبت فؤاد الصغير، وأخذته من مشاهد الحياة المدنية هناك في محيط أرامكو المكتظ نشاطًا وبهجة وثراءً بالحياة

والحيوية والرفاهيات التي لم تكن موجودة، أو حتى لها ذكر، هناك في مسقط رأس والده.

بدأت أشعر بشيء من الاستغراب حين سألت الرجل عن مشاعره يوم قرر والده أن يعود بهم إلى الخرمة حيث أهله ومسقط رأسه، بعدما تحسنت أحواله المادية، إثر حصوله على تعويض من الدولة عن قطعة أرض كانت له في الخبر، فجاءه تعويض كان قرابة ١٨٠ ألف ريال، وكانت في وقتها تعدل ملايين الريالات، فتحسنت أحوال الأسرة، وتجاوزت خط الفقر، ما جعل الوالد يفكر جديًا في مغادرة الشرقية، بعد شراء وايت ماء موديل ١٩٧٨م بمبلغٍ ١٣٨ ألف ريال نقداً، والرحيل للخرمة؛ ليشتري منزلاً لأسرته هناك بين أهله، وكان سند حينها قد أتم الصف الثالث الابتدائي، ثم بعد أشهر من شراء المنزل والاستقرار في الخرمة، قرر الوالد الانتقال إلى البادية ليتوسع في شراء الأغنام، ويبقى بجوار أحبابه وقرابته في مضارب صحراء الخرمة، حيث أَحَبُّ الأماكن والمناظر إلى عيني الوالد،

وأقرب الوجوه إلى قلبه، هناك بين جبال وسهول حرة سبيع [٣]، وعروق سبيع [٤]، ووادي سبيع [٥]، لكن المفاجأة أن هذه كانت مشاعر الصغير سند نفسها، كأن عشق البادية الذي تلبَّس روح والده، تلبَّس روحه أيضًا، أو كأنه خياله مستنسَخ من خيال أبيه.

(٣) حرة بركانية بها فوهات بركانية حديثة وبها بادية رنية والخرمة، وقدعاش بها الهلاليون اشقاء سبيع في العصور الوسطى. نتجت الحرة عن توازن بركاني حديث، وبها عدد من الجبال المهمة والشهيرة مثل؛ جبل القوس، وشثران، ومفحل، ومسافعة، ورايان، ونعمي، وسفيرة، ويرتفع مستوى المسكوبات البركانية في الحرة إلى ١٢٠٠-١١٠٠م عن سطح البحر.

(٤) كثبان رملية ناعمة والبعض منها تتحرك والبعض منها عالية تبداء من الاحياء الشرقية لمحافظة رنية ثم تتجه شمالاً مروراً بمركز ورشة التابع لمحافظة رنية ثم منجم الدويحي التابع لمحافظة الخرمة وينتهي بعد مركز الحوميات التابع لمحافظة عفيف بـ ٢٠ كم ويتخللها سباخي وخباب وبين الحرة ومنطقة العروق يربط وادي سبيع والذي ينحدر من جبال السروات مروراً بتربة ثم محافظة الخرمة وهي منطقة منخفضة ويوجد بها مياه جوفية عذبة بالإضافة لروافد الوادي الأخرى من الشعاب. اما مساحته فهو يمتد طولاً من الجنوب إلى الشمال يحث يبلغ طوله أكثر ١٨٩ كلم تقريباً ومن ٣٠ إلى ٥٥ كلم عرضاً و تبلغ المساحة الاجمالية لرمال عروق سبيع ،٠٠٠ كيلو متر مربع.

(٥) ينحدر من جبال السروات مروراً بتربة، وهي منطقة منخفضة ويوجد بها مياه جوفية عذبة، بالإضافة لروافد الوادي الأخرى من الشعاب.

توقعت سيلاً من المشاهد الجارفة التي لم يزل مسكونًا بها من سنوات الطفولة بالشرقية، مثلما يحدث مع كثيرين منا حين تحدثهم عن نشأتهم، ومدنهم وقراهم وشوارعهم الأولى، لكن الدكتور سند السبيعي اختزل هذا كله في كلمة، «نعم افتقدت بشاشة الناس واللعب مع أبناء الجيران»، ثم تجاوز هذه النقطة مباشرة إلى الحديث عن العودة إلى قريتهم، وإلى ذكرياته مع الأجداد والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وأقرانه من الأقارب والجيران والأصدقاء وزملاء الدراسة في الخرمة، هناك حيث وجه عم والده، الرجل العصامي الكريم البشوش الذي كان يعمل بالزراعة، وكلما ترددوا عليه لزيارته يرحب بهم ويكرمهم، والعمة الودودة محبة الصغار التي كانت تحتفظ لهم طوال الوقت في جيبها بتشكيلة من حلوى الماضي التي لم يزل الصغير الذي أصبح أكاديميًّا يتذكر طعمها جيدًا، ويحدثك عنها ونظراته تذهب بعيدًا عنك مبتسمًا، كأن العمة عادت من الذاكرة لتقدم له قطعة حلوى جديدة، مثل سابق عهدها عندما كانوا

يذهبون للسلام عليها هو وإخوته، فتعطيهم من خزانة الحلوى التي كانت تحتفظ بها في ثيابها، حتى أصبح التردد عليها متعة صغار العائلة، ومصدر بهجة قلوبهم الصغيرة، بل ومصدر بهجة قلوب الكبار أيضًا، والخال الحنون الذي لم تكن لفافات البسكويت التي يشتريها لإسعاد الصغير سند وإخوته تنقطع عنهم في أوقات زياراته لمنزلهم، الزيارات التي كانت تجلبٍ معها هواء السعادة إلى أسرتهم بحضور الخال محملاً بالبسكويت الشهي. ولم يكن عليهم دائمًا انتظار السعادة حتى تأتي إليهم، مع الأعمام والعمات والأخوال والخالات، حيث كان بوسعهم أن يذهبوا هم إليها، حين ينقدهم أحد الأقارب إذا التقوه في منزلهم، أو في منزله، أو حتى في الطريق العام، بضعة ريالات، فينطلقون بها إلى البقالة مسرعين لشراء حلوى الطحينة اللذيذة، التي يغمض الدكتور سند عينيه وهو يحدثك عنها ويقول: «مازلت أتلذذ بها حتى يومنا هذا».

وليست الوجوه التي تبعث البهجة بهدايا الطفولة وحدها التي لم تزل عالقة في ذاكرة الدكتور سند

السبيعي، إذ لم تزل حياة الماضي في الخرمة باقية بجميع تفاصيلها مكتملة في ذاكرة ابنها الذي لم يتوقف طويلاً، أو قصيراً، أمام ذكرياته في الظهران، المدينة الصاخبة الحيوية المزدحمة بالبشر من جميع البلدان والألوان، في حين استدعى الكثير من شطر ذاكرته الأثير لديه، هناك في الخرمة، حيث اللقاءات الاجتماعية بين الجيران والأقارب، واجتماعاتهم كل مساء، بعد العصر، أو المغرب؛ لتناول القهوة، وتبادل الأحاديث والقصص، في جلسات دافئة، تمتد حتى يتناول الجميع العشاء معًا، وبينهم الصغار الذين يراقبونهم وينظرون إليهم بشغف وهم يحكون قصصًا من كفاحهم في طلب الرزق، ويصفون المخاطر التي تعرضوا لها وهم يرعون أغنامهم وإبلهم في الصحراء، وكيف كان يتوجب على أحدهم التصدي للحيوانات المفترسة كالذئاب، ليحمي قطعان أغنامه منها. قصص كثيرة تجسد كفاح أهل البادية من أجل كسب الرزق، لم تزل عالقة بذاكرة ابن البادية سند السبيعي، قصص ملهمة من الواضح أنها كانت كلمة السر في كفاحه

الشخصي الذي استند فيه إلى سِيَر أسلافه، وكفاح رجالهم ونسائهم على السواء، مثل قصة الرجل الذي كان يمشي بالصحراء في طريقه إلى أحد أقاربه، وعندما وصل إلى مضارب عائلته وجده قد رحل، ووجد المكان قد امتلأ بالذئاب، والليل قد جن على المكان الخالي من سكانه، ولم يجد أمامه وسيلة للنجاة، أو السير ليلاً من دون أن يكون فريسة لقطيع من الذئاب، إلا حيلة بسيطة، هداه الله إليها، لحماية حياته من هجمات الذئاب المفترسة، حيث عمد إلى عمل حفرة في الأرض تشبه القبر، ثم نام فيها، وأهال على جسده التراب، فقط رأسه بقي مكشوفًا، في حين كان في يده اليمنى يمسك بعصى طويلة، وهذا يضمن له أن يعاجل الذئب أولاً، إن شم رائحته في المكان، وأقبل للبحث عنه، وبالفعل أقبلت مجموعة من الذئاب على مصدر رائحة الفريسة المغطاة تحت التراب، وعندما وجدت رأسًا آدميًا بلا جسد، دارت حوله حائرة تحاول اكتشاف فريستها الغريبة، وكلما دارت حوله، ضرب أحدها بالعصا على مؤخرته، فمازالت

الذئاب تدور حوله مترددة في الهجوم عليه قبل أن تقدم على أكل رأسه، وقد ظلت حائرة فيه، ومرتابة في ضربات العصا التي لا تعرف من أين تأتيها، فكلما اقترب منه أحدهم، ضربه بالعصا، فمازالت تلك الحال حتى أشرقت شمس الصباح، ثم ألقت عليه الذئاب النظرة الأخيره، قبل أن تنصرف من المكان مرتابة تركض في الصحراء بأمعائها الخاوية، والرجل أخيرًا يتنفس الصعداء بعدما كتبت له حياة جديدة. قصص ألهمت ابن الصحراء وأقران طفولته طرق مجابهة الوحوش، فكان من أسلافهم الذين رفدوهم بقصص نجاتهم من الوحوش، من يتسلق شجرة، أو يختبئ في غار ثم يغلق بوابته بغصن من الشجر ويمسك بيده عصا، قصص ربما لم يعد الصغير سند في حاجة إليها حين بلغ مبلغ الرجال، وتحول إلى الحياة الأكاديمية في حواضر المملكة، لكن روح الحيلة التي على المرء أن يتمتع بها لبلوغ الأهداف، وضبط النفس والتماسك في مواجهة المخاطر والمعوقات والصعوبات لاجتيازها إلى المستقبل، وغيرها من الدروس التي تعلمها على

أيدي أهل الصحراء هناك في قلب البادية وعلى مشارفها في قريتهم، تركت داخله الكثير من الخبرات التي واجه بها مستقبلاً لم يكن أقل صعوبة ووعورة، أحيانًا، من مقابلة الرجل البدوي مع الذئاب.

وفي مقابل قصص الخوف والخطر، قصص الأنس والبهجة في مناسبات الزواج والأعراس، لفرط البهجة التي تغمر قراهم وأحياءهم وشوارعهم في هذه المناسبات النادرة، حيث الهدايا والعطايا والمأكولات التي تجعل من حياة الصغار أحلامًا عابرة تمتد لأيام عليهم، ينعمون فيها بصنوف الطعام والشراب، ويستقبلون، بأعين مُغْمَضَة، رشات العطور من يد الوالدة وهي تهندمهم من أجل حضور العرس على ثيابهم، وفي آخر الليل ينامون في الهواء الطلق ملتفين بسجاد الزل الفاخر آنذاك.

فقط مشاهد الماضي في أرض الأجداد، من دون غيرها مشاهد الطفولة المبكرة، كانت الأكثر حضورًا في ذاكرة الطفل سند السبيعي الذي لم يكن يذهب إلى مسقط رأس والده وأرض أجداده في الخرمة إلا في أشهر

الصيف، في أيام العطلة الدراسية، حيث يصطحبهم الوالد في سيارة «هاف فورد» قرابة موديل ١٩٦٣، وسيلة السفر التي كانت متاحة آنذاك، رحلة الأحلام التي يذكر الدكتور سند تفاصيلها كاملة، يقول: «كنا صغارًا نجلس أنا وإخوتي فوق المتاع، وأحياناً يكون معنا بضعة رؤوس من الأغنام؛ إما لبيعها في الخرمة، أو لإهدائها إلى الأقارب. أذكر، كأنه الآن، جلوسنا فوق متاعنا سعداء، تعترينا حالة من البهجة والهواء يداعب فراء رؤوسنا كأننا نحلق بأجنحة فوق متن السيارة، وقائدو المركبات الذي يأتون من خلفنا، قبل أن يتخطونا، وخصوصاً الأجانب منهم، ينظرون إلينا باستغراب مبتسمين، فننظر لهم بود، ونومئ لهم بالتحية، ونمسك بدلة القهوة العربية نشير إليهم بها لنقدم لهم واجب الضيافة في الطريق، مثلما عودنا والدي ووالدتي أن نقدم القهوة دائمًا، فنصب لهم القهوة في فناجيل براقة، ثم نمد أيادينا إليهم بها في الهواء الطلق حين يمرون إلى جانب سيارتنا، فيمدون أياديهم إلينا كذلك مبتسمين من فعلنا وكرمنا... يالها من رحلة ماتعة لا تفارق ذاكرتي ياليتها تعود».

هكذا، فقط ذكريات الخرمة تنشط في ذاكرة سند السبيعي، حتى ذكرياته خارج محيطها الجغرافي، تبقى تلك المرتبطة بالرحلة إليها، وبمشاهد الكرم التي لقنهم إياها الوالد وهم يقدمون القهوة للمسافرين على الطريق. حازت الخرمة على حصة الأسد من ذاكرة الصغير، مخلفة نثار ذكريات مشوشة من أيام إقامتهم في المنطقة الشرقية، على شاكلة لعبهم هو وإخوته مع أقرانهم من أبناء الجيران، من دون تحديد قصص بعينها، ووجوه عمال شركة أرامكو الآسَيويّة من أبناء الأمة الكورية، وفق ترجيح الدكتور سندَ، في أثناء تواصلهم معهم لشراء قطع الحديد منهم، لبيعها في سوق السكراب[٦]، وكان هذا أحد أنشطة كسب الرزق في الطفولة المبكرة.

هكذا ولد الصغير سند مسكونًا بعشق موطن أجداده الذي لم يكن يراه إلا في الإجازات الصيفية، حين تنتقل الأسرة كلها لقضاء الصيف هناك، فينام في

(٦) يعدّ سوق السكراب أضخم سوق للحديد والألمنيوم والنحاس بالمملكة حيث يركز هذا السوق على مادة حيوية ومطلوبة خارجيًا وداخليًا وهي قطع غيار السيارات والحديد والألمنيوم المستخرج منها، وقدر حجم سوق السكراب في المملكة في السنوات الأخيرة بنحو ٣٠ مليار ريال سنويًا.

ليلة الرحلة مبتسمًا لسفر الأحلام، ويقفز فوق ظهر عربة النقل التي تقلهم إلى أرض الأجداد، مبتهجًا، من دون أن يشعر بالرثاء لمغادرته المنطقة الشرقية بصخبها وحيويتها وتنوع وجهات المتعة واللعب والعمل فيها، إلى قريتهم النائية النائمة في حضن جبال الحَرة، وهكذا تحول استغرابي من مرور الدكتور سند السبيعي على سؤالي عن مشاعره يوم قرر والده العودة إلى الخرمة، ومغادرة الشرقية بشكل نهائي، مرور الكرام، إلى دهشة، حين علمت أن الصغير سند كان يقاتل من أجل أن يذهب مع أبيه إلى موطن رأسه في الخرمة في رحلة شاقة كانت ترفض والدته دائمًا ذهاب صغيرها فيها، حيث وعورة الطريق التي تستغرق نحو سبعة أيام لقطع مسافتها بين المنطقة الشرقية (شرق البلاد على ساحل الخليج العربي) والخرمة بمنطقة مكة المكرمة (غرب البلاد) على ظهر عربات نقل بضائع ، كانت تتحول في ذاك الزمن المبكر إلى عربات لنقل الآدميين، في طرق معبدة، لكنها ضيقة ومتكسرة أحيانًا، وبعربات تتسبب صعوبة رحلاتها ووعورتها دائمًا في إعطابها على نحو

شبه دائم، فيصبح على الركاب الترجل من الشاحنة، لأوقات إضافية، غير تلك التي كان يتوجب عليهم الترجل خلالها لإعداد وجبات الطعام الجماعية التي يتكاتف الجميع على طهيها، بين من يجمعون الحطب، ومن يشبون النار فيه، ومن يقومون على عملية الطهي نفسها، أو للاستراحات التي تتخلل ساعات القيادة الطويلة حتى يتمكن قائد العربة والركاب من أخذ قسطٍ من النوم، حتى يصلوا إلى وجهتهم الأخيرة، فضلاً عن الطقس السيئ الذي قد يضاعف من وعورة الرحلة وخطورتها، لكن هذه الأخطار والمتاعب وتلك المشقة البالغة، لم تكن تنهى الصغير عن الاستبسال من أجل انتزاع موافقة الوالدة الخائفة بذهابه مع الوالد في رحلته التي يتردد فيها على مسقط رأسه لإنجاز بعض المهام، وفي مقدمتها أعمامه وإخوته، والاطمئنان عليهم، وصلة رحمه.

«إذا بغيت أروح ردتوني وإذا جلست ضربتوني» واحدة من الحيل وعبارات الاستجداء، وربما المساومة والمراوغة التي لم تجدِ أبدًا، ظل الصغير الغاضب،

والباكي أحيانًا، معروفًا بها بين أفراد أسرته، كان يرددها دائمًا من أجل أن ينتزع الموافقة بالذهاب مع أبيه، بطل قصته الذي يبدو جليًا أنه كان السبب الرئيس في هذا الارتباط النادر من قبل طفل صغير بأرض لم يولد فيها، ولم تكن قادرة آنذاك على أن تقدم له معشار ما تقدمه له الأرض التي وُلد فيها وملأت مساحات ذاكرته الصغيرة، فأين قرى الخرمة الوحيدة المعزولة هناك وسط المرتفعات الوعرة والصحراء بين نجد والحجاز، على بعد مسافة ٢٣٠ كيومترًا شمال شرقي مدينة الطائف، من حاضرة الظهران الصاخبة بالناس والبضائع والقطارات وأبواق السفن ووجوه أرامكو من الأمريكيين والآسيويين والأوروبيين التي تضفي عليها روح مدينة عالمية.

❀ ❀ ❀

بدأ ارتباط سند السبيعي الوجودي بأبيه منذ سنوات عمره الأولى، فظلت ذاكرته مرتبة بالطائر الأب الذي علمه كيف يضرب بجناحيه في الهواء، ويتعلم التحليق للمرة الأولى في سماء العلم، فنشأة والد سند في بيئة بسيطة لم تحل دون اكتسابه مهارات الكتابة والقراءة، ما

جعله يحرص على إلحاق ابنه بالمدرسة، وتعليمه تعليمًا جيدًا؛ ليقينه في ذاك الزمن المبكر الذي كان الناس في بعض مناطق المملكة فيه يحتاجون إلى من يقنعهم بفكرة تعليم أبنائهم في مدارس نظامية بعيدًا عن الكتاتيب، ولاسيما مناطق البادية التي لم يكن الحرص فيها كبيراً على التعليم، بل ربما كان بعضهم يقاومه، وفق شهادات لرواد التعليم آنذاك؛ لأسباب مرتبطة بصورة ذهنية مشوشة عن التعليم، ولضيق العيش والحاجة إلى الأبناء في أعمال الأهل كذلك؛ لتعزيز مواردها المالية، في زمن لم يكن التعليم فيه أولوية، بل كان ترفًا لا يقدر عليه كثيرون، ومنهم والد سند نفسه، إلا أن الرجل كان من الرجال المؤمنين بقيمة العلم، وبقدرته على تغيير واقع أبنائه، وكان يستشعر واجبه تجاههم ليخرجوا إلى الحياة في ظروف أفضل من تلكم التي عاشها، ولديهم من الإمكانات التي تؤهلهم ليحققوا ما لم تساعده ظروفه على تحقيقه في ذاك الزمن المبكر.

تجلت هذه المحبة الكبيرة التي كان الصغير سند يكنها لوالده، وذلك الارتباط العميق بينهما، في أمور

كثيرة، يمكننا وصفها، من واقع سيرته التي مفاتيحها، وقد وجدناها كلها في صندوق الوالد، إلى أنها محور حياة الدكتور سند السبيعي التي تحولت إلى قائمة من الأهداف تلو الأهداف، فقط استراحات لالتقاط الأنفاس، والاحتفال بمنجز، ثم التوجه نحو منجز جديد في الصباح، كلها تدور في فلك الوالد، وفي عالمه، كأن حياة الابن سند كانت أشبه ما تكون بمسرح كبير تتواصل عليه العروض، فما إن ينتهي من أداء دور فيه، حتى يذهب عند حافة خشبته، ليبحث عن والده بين الحضور، وينظر بسعادة إلى نظرة الرضا في عينيه، وهو يصفق لصغيره الذي لم يخيب ظنه، فحقق ما كان يحلم به الوالد وزيادة؛ وأصبح «دكتورًا» جامعيًا، يتخرج على يديه العشرات من الطلاب، ويتزودون من علومه وأفكاره ونصائحه ووصاياه، بل يتجاوز عطاؤه طلابه، إلى الأوساط العلمية والبحثية التي أثراها، وما زال يثريها، بمؤلفاته، ونظرياته حول البيئة والثروة الحيوانية في بلادنا، أحد أهم محاور أمننا البيئي والغذائي، وهو عطاء لا يمكننا فصله عن

الوطن، أكبر المستفيدين، سواء على صعيد القيمة التعليمية المضافة، أو القيمة البحثية، أو إثراء البيئة النباتية، والثروة الحيوانية، والمنظمة الغذائية الوطنية، بأبحاثه المهمة التي تلفت إلى أكاديمي مهموم بقضايا بلاده التنموية، في المقام الأول.

تجلى ارتباط الصغير سند بأبيه أيضًا في تفوقه الدراسي، بدءًا من المراحل الدراسية الأولى في مدرسة الظهران الابتدائية بالمنطقة الشرقية حيث بقي حتى الصف الثالث الابتدائي، ومرورًا ببقية المرحلة الابتدائية في مدرسة الفيصلية الابتدائية بالخرمة، ثم المرحلة المتوسطة في متوسطة الخرمة، المتوسطة الوحيدة في المدينة آنذاك، ثم المرحلة الثانوية في ثانوية الخرمة، الثانوية الوحيدة أيضًا في المدينة آنذاك، وكان مبناها مستأجراً وصغيراً، لقلة عدد الطلاب الذين كانوا يلتحقون بالتعليم الثانوي آنذاك؛ لانشغال الطلبة بالزراعة والرعي والبحث عن العمل والكسب السريع وتراجع أسهم التعليم الذي لم يكن رهانًا للمستقبل في تقديرهم حينها، بل وفي تقدير أسرهم. هذا التفوق

من قبل الطالب سند مطلق السبيعي، جعل معلم اللغة الإنجليزية في يو م من الأيام، ينظر إليه باعتزاز، حين لم يتمكن أي من أقرانه من طلاب الصف من الإجابة عن أحد الأسئلة، وكعادته أجاب طالبه النجيب سند، ثم نظر المعلم إلى الطالب الذي عجز عن إجابة السؤال، وقال له: «كن مثل هذا البدوي».

جملة دالّة، شارحة، تتجاوز، بعفويتها، تأثيرها الإيجابي على الطالب سند السبيعي آنذاك، إلى ما تحمله من مضامين، وتعكسه من حقائق حول تلك المرحلة، فمن بين دلائلها، أن سند السبيعي كان طالبًا مجتهدًا، إلى حد أنه أصبح قدوة للآخرين ومثالاً يدعو المعلم بقية الطلاب إلى الاقتداء به، ومن بين دلائلها أن سند كان متفوقًا على من حوله من الطلاب على نحو لافت، وأنه بدأ مبكرًا صناعة الفارق بينه وبين أقرانه، من أبناء البيئات الحضرية الذين كان لديهم من الإمكانات والتجارب والخبرات والدعم الاجتماعي والتحفيز ما يمنحهم الأسبقية على طالب آت من بيئة بسيطة لا تقارن بهم، لكن سند الآتي من الصفّ الأخير

في مضمار السباق الاجتماعي، تمكن بمثابرته وعزمه وإرادة النجاح والتفوق داخله، من اجتياز أقرانه في المقدمة، بفارق جعل معلمه يدعوهم إلى الاقتداء به، وهذا أمر كان المعلم يعيه تمامًا، بل استثمره في استفزاز طاقات طلابه وقدراتهم، حين ركز على وصفه بـ «البدوي»، أي من جاء من حياة بسيطة، لم تقدم له شيئًا من الإمكانات التي تقدمها لكم حواضركم، لكنه تجاوزكم. أيضًا، أراد المعلم أن يكرم البادية وأهلها في ابنهم وسفيرهم الصغير، سند، الذي أرسله والده للتعلم في مدينتهم، فنسبه إلى البادية التي أتى منها، ليعبر عن إعجابه بالتنشئة الجادة التي تلقاها على أيدي الأسرة والأجداد هناك في مجتمع البادية.

تجلى ارتباط الصغير سند بأبيه أيضًا في نزوحه بجسده، إلى البادية، خارج القرية التي كانوا يقطنونها هو وأسرته، لكن من دون والده في معظم الأحيان؛ نظرًا لارتباط الوالد بنشاطه الرعوي خارج حدود القرية، حيث قطعان الغنم والإبل التي استثمر فيها ما جمعه من رحلته إلى المنطقة الشرقية؛ ليعول أسرته.

هذا الحنين إلى الوالد، وهذا الافتقاد الكبير له من قِبَل ابنه سند، وقد تحدث عنه في أكثر من موضع من جَلسات الاستماع، جعله يلتحق بوالده في البادية ليساعده في رعاية الأغنام والإبل. هذا النزوح الصغير المبكر، جعل من سند السبيعي رجلاً صغيرًا، تجاهل جميع أسئلة المقابلات التي أعددناها للحديث عن ألعاب الطفولة، وأوقات مرحها، وأصدقاءه، إلى الحديث عن اهتماماتها الدراسية، والثقافية، والعملية، لدى سند الطفل الذي كشفت لنا إجاباته عن طفولة شبه خالية من اللعب، طفولة جادة لابن الصحراء الذي حمل جيناتها، وتعلم استمداد سعادته الخاصة من اهتمامات قد لا تبدو كافية أبداً لصناعة طفولة سعيدة، لكنها كانت كافية جدًا لسند الصغير الذي استمتع تمامًا بجميع تفاصيل البادية فقيرة الموارد، كأنه شجرة نخيل، تعرف طريقها جيدًا إلى الماء في قلب صحراء قاحلة، بل وتمد العابرين بالظل والرطب الشهي اللازم لبقائهم.

وربما كان قفز الدكتور سند السبيعي، فوق السؤال عن حنينه للأعوام المبكرة من عمره التي أمضاها في

المنطقة الشرقية، وقفزه فوق السؤال عن لعب الطفولة، وعن ذكرياته المبكرة مع أقرانه، اللهم إلا القليل الذي بدا في أثناء الحديث عنه، وكأنه يحاول إرضاءنا به، أو يملأ فراغًا يَتَوَجَّبُ مَلؤه لا أكثر، وعلى استحياء، ليس لأنه لم يكن لديه ذكريات طفولة يتذكرها، بقدر ما أن هذا كله لم يكن ملحًا في ذهنه، فمر على هذه الأسئلة مرور الكرام، فلم ألمس لديه على الإطلاق أن لديه معاناة من جراء افتقاده لمرحلة الطفولة، أو لمتعة من متع هذه المرحلة، كما ألمس أحيانًا لدى بعض من يقع عليهم اختياري للكتابة عنهم وقراءة رحلة حياتهم، ولم أجد لديه مشكلة على الإطلاق لترك أسرته الظهران بإمكاناتها التي لم يكن يمكن مضاهاتها بالخرمة آنذاك، يقينًا كان لديه من الذكريات ما يستحق الذكر، لكن الأمر لم يستوقفه على الإطلاق، ولقد قرأت في هذا عزوفًا كبيرًا عن فكرة ذكريات لعب الطفولة التي بدت هامشية لديه، أيضاً الحنين للمنطقة الشرقية، مسقط رأسه ومهد طفولته، كان هامشيًا، كان الأساسي في حياته، فقط، كل موضع ذي صلة بأبيه؛ السفر معه،

والعيش مسقط رأسه حيث الأسرة في الخرمة، ثم العزوف عن هذا كله واللحاق به في البادية، في أشهر الإجازات الصيفية، حيث العيش بين الصحاري الممتدة، من دون أي مصدر سعادة يُذْكَرُ لطفل، اللهم إلا وجه أبيه، وقد بدا لي من قراءة إجاباته كافيًا تمامًا، بل وفيرًا؛ من أجل نشأةٍ صحية لطفل، ظل يراقب والده بحب وإعجاب وتَعَلُّق، ويقلده في كل شيء، حتى أصبح رجلاً صغيرًا.

ولم يأتِ ارتباط الصغير سند بوالده، بحكم الغريزة، بقدَر ما كان هذا الارتباط رصيدًا لعلاقة بالغة الخصوصية، تربط بين أب بدوي، جمع بين صرامة حياة الصحراء وحنين الإبل إلى صغارها، فحين نفتح ملف الوالد في ذاكرة ابنه سند نجد هذه التدوينات الرقيقة: «مشاهد طفولتي المبكرة مع والدي أجمل المشاهد على الإطلاق، فكنت ألعب معه كأنه رفيق طفولة، لا أبًا، يفترض أنه مصدر رهبة وخشية مثل كثير من الآباء.. كان، رحمه ربي، يستلقي لأقوم باللعب على جسده الطاهر. كان والدي شخصية مرحة، وكان عطوفًا،

متدينًا، لا يمد يده للآخرين طلباً للمال، أو الجاه، أو الشهرة، والأوقات التي يمضيها بيننا أنا وإخوتي، لا يتوقف خلالها عن اللعب معنا، وإلقاء القصص والألغاز علينا. أذكر من قصص ذاك الزمان العجيب الذي يسكنني حتى إنه لم يترك مكانًا لشيء آخر، أنه في إحدى الليالي جلس يمازحنا ويقول: إن هناك رجلاً ذهب لجارته وحبها في بيتها! استولت علينا الدهشة أنا وإخوتي وأخذنا نتساءل: كيف لرجل غريب يُـقَـبِّل جارته. وهو ينظر مبتسماً ونحن نردد: لا يجوز ذلك. وهو يقول: هذا ما حصل فازدادت حيرتنا، ثم طلبنا الإجابة وحل اللغز بعدما عجزنا وباءت محاولاتنا بالفشل، فقال: نعم عندما ذهب الرجل لجارته، وجد في بيتها كيسًا من حبوب الطعام. فأخذنا نرتمي على ظهورنا من فرط الضحك بعدما أدركنا الخدعة اللفظية في كلام أبي، وهو ينظر إلينا ويبتسم فرحًا بسعادتنا حوله».

ويمكنك القول إن الدافع الكبير لنزوح الطفل سند السبيعي إلى البادية مبكرًا خارج قريتهم، حيث

مضارب قوم والده في قلب الصحراء، لم يكن طلبًا لحياة الصحراء التي لم تكن تستهوي طفلاً، على الأقل في تلك السن الصغيرة، بقدر ما كانت رحلة للبحث عن أبيه الذي كان يعاني افتقاده، منذ طفولته المبكرة، ويتحرى الأوقات القليلة التي يعود إليهم فيها، ليبدأ فاصل قصير من البهجة، يستهله الوالد بقصصه وألغازه وهو يتمدد له هو وإخوته ليتقافزوا على جسده، كأنهم أشبال يتسلقون جسد أسد مستسلم لأوقات لعب صغاره، لكنها كانت أوقاتًا عابرة قصيرة، ما تلبث أن تنتهي بحَزم الوالد متاع الرحيل إلى أي من الوجهات الكثيرة التي كانت تأخذ والدهم منهم حينذاك، فأثناء إقامتهم في المنطقة الشرقية كانت لديه أكثر من وجهة تأخذه منهم، إلى أن أصبحت البادية وجهة وحيدة دائمة تأخذ والدهم منهم بعد عودتهم إلى الخرمة. يقول الدكتور سند: «كان والدي يعمل في السكة الحديدية بالشرقية مع بداية نشأتها، كما كان ملتحقًا بأحد أفواج الحرس الوطني، في مقرها بالرياض، ثم انتقل إلى نجران فيما بعد، وكان مرتبه

زهيدًا، ولم تكن إحدى وظائفه تتطلب منه الحضور الإ بعد عدة أشهر. فكان غالباً رحالاً بين مقر عمله، وزيارة الأقارب بالخرمة، ثم الرجوع إلينا. كان تغيبه عنا يطول بالأشهر، لذا كنا نسعد بقدومه، أيما سعادة، وتملأنا البهجة حين نرى محياه الكريم بابتسامته التي لم تكن تنقطع عنا أمام باب البيت مترجلاً من سيارته».

لكن مسلسل الغياب القاسي لوالد الدكتور سند، رحمه الله، لازمهم حتى بعد عودتهم إلى الخرمة بشكل نهائي، يقول الدكتور سند: «بعد عودتنا إلى الخرمة كنت أفتقد والدي كثيرًا، وكان غيابه معاناتي الوحيدة، إذ كان، رحمه الله، مقيمًا بالبادية بالقرب من إبله وأغنامه، وكان يطول به المقام هناك إلى أن يمكث عدة أشهر، فلم يكن يطيب لوالدي العيش في الخرمة، إذ كانت البادية عشقه، فإذا جاءنا، ما يكاد يمكث شيئًا، حتى يرجع مسرعًا، فقلّ أن يبيت، حتى، في منزلنا؛ شوقًا إلى إبله وأغنامه وصحرائه التي كانت عالمه الأثير حيث يمضي نهاره بين الإبل والأغنام ورفاق البادية ويمضي ليله في مشاهدة النجوم التي تزين سماء

البادية، كأنها عرس سماوي. كانت هذه حياة أبي التي سافر كثيرًا، وعمل كثيرًا؛ حتى يتمكن من أن يعيشها. تنقل بين كبريات حواضر المملكة ومدنها بين الشرقية والرياض ونجران، لكن عشق البادية والصحراء والأغنام والإبل والسماء والنجوم، لم يفارقه لحظة خلال رحلته الطويلة، إلى أن تمكن رحمه الله، من تحقيق حلم العودة، فبنى لنا بيتًا في القرية بين الأهل، ثم انطلق إلى عالمه الذي أحبه دائمًا».

❋ ❋ ❋

إن تأمُّل وقائع سيرة حياة الدكتور سند السبيعي، يضعك أمام، حقيقة كبيرة، ووجودية، تتركز في أن أبناء البادية مجبولون على عشقها، مسكونون بالحنين إليها، كأنه خبزهم الذي يعيشون عليه بعيدًا عنها، خبز الحنين، خبز بطعم نكهات الماضي، حيث حلوى الجدات والأخوال والأعمام، وأطعمة الأعراس، وحليب الإبل الدافئ، خبز لا يعرف طعمه إلا البدوي كلما انفصل عن عالمه في أي من المدن التي فرض عليه

العيش فيها للعمل، واستدعى مشاهده الأثيرة التي تسكنه، فيستحضر جلسته هناك بين بوادي صحاريه وهو يراقب قطعان إبله وأغنامه في النهار، ويراقب النجوم على ضوء شبة النار في الليل، ريثما ينضج خبز قرص الجمر في باطن الأرض، فيخرجونه طازجاً شهياً وهم يستنشقون رائحته بعمق، ثم ينامون ممتلئي البطون، خبز لا تفارق رائحته الأثيرة أنف أبناء البادية، حتى وهم على بعد مئات الكيلومترات في مدن بعيدة عن بواديهم التي تتعلق بها أفئدتهم وأرواحهم، تمامًا مثل سند السبيعي، ابن البادية الذي قرر ألا يكتفي، فقط، بالعيش على خبز الحنين، وأن يكون أحد أكثر أبناء البادية براً بها، وأن يسدي لها، ولو من بعيد، صنيعًا لن تنساه له، ولن ينساه له أهلها، سواء أهل باديته هناك في الخرمة، أو أهل جميع بوادي المملكة الذي يصلهم جميعًا رحم الصحراء، حين يعرفون، ماذا قدم الدكتور سند السبيعي للبادية وأهلها.

# قهوة الذاكرة

## قهوة الذاكرة

لا يمكنك القلق على شجرة نخيل على ضفة واد جارٍ بالماء، حتى وإن لم يروِها أحدهم، فجذور النخيل تعرف طريقها إلى الماء جيدًا. أيضًا لا يمكنك القلق على جمل لأن أحدًا لم يقدم له الماء، فالإبل ابنة العطش، اعتادت أجسادها الحياة في غياب الماء، تمامًا كما اعتادت هجير الشمس، ولفح قيظ الصحاري وهي تسير فيها بالأشهر من دون أمل في ظل قريب، اللهم إلا الليل الذي تشارك فيه الأغنام الاستمتاع بمنظر نجومه، ريثما تسطع الشمس فوق رؤوسها من جديد.

هكذا تتحول حياة كائنات الصحراء، إلى فواصل قصيرة من الراحة، تتخلل مشقة دائمة، وشُحًا دائمًا، لكنها لا تتضجر أبدًا، ولا تستسلم لأسباب السقوط التي تحاصرها من دون مصادر واضحة لوجودها، تمامًا مثل تلك الزهور التي تنبت على صخور الجبال، من دون أي أسباب واضحة للحياة أو البقاء، اللهم إلا قطرات ماء نادرة سقطت في موضع ، فدبت فيه روح ، وأزهرت زهرة هنا، أو نبت مسطح من الأعشاب هناك، أو وقفت صبارة في قلب الصحراء تتحدى قسوة سياط الشمس التي تجلدها من دون توقف.

وليس ابن البادية سوى أحد كائنات تلك الصحراء فقيرة الموارد، ضنينة العطاء، فقط شيء واحد جادت به الصحراء، هو إنسانها. قواسم مشتركة كثيرة بين أبناء البادية وكائناتها، فكلهم أبناء ظرف إنساني واحد، موارد فقيرة، ومخاطر، وحياة وعرة عليهم أن يحافظوا على بقائهم فيها، وفي الوقت نفسه عليهم أن يبنوا منظومتهم المستوحاة من ظرفهم الإنساني، ومن شركاء وجودهم من الكائنات الأخرى، فالقدرة

على البقاء في قلب هذا القحط، تتطلب كائنات قادرة على العيش على أقل الموارد، بل ومن دون موارد، فتعلموا الاقتصاد في كل شيء إلا الكرم، المورد الوحيد الذي بلا حدود في البادية، وهو قيمة، على غرابتها في بيئة ضنينة الموارد، إلا أنه يحمل فلسفة إغاثة العابر واللهفان، فقسوة حياة الصحراء علمت أبناءها، أن يعطي من يملك فيها من لا يملك، ويكون المقيم سخيًا على العابر المسافر، ويكون صاحب البيت كريمًا مع الضيف، هكذا، علمت الصحراء أبناءها، فضيلة التكاتف، حتى أصبح الكرم الباذخ سِمَتهم في أيام الرخاء، بعدما كان ملاذ قطاع كبير منهم في أيام الشدة، حين كان المال في أيدي الموسرين وحسب.

واستلهم أبناء البادية من بيئتهم الوعرة القدرة على تحدي الصعوبات، واجتياز المخاطر، والشجاعة في مواجهة المعوقات مهما كانت صعبة، وعدم الاستسلام للهزيمة، مهما كلف الأمر، بعدما تحولت صراعات الماضي من القتال من أجل المورد، إلى القتال من أجل الكرامة، حتى لو كلف الأمر أحدهم أن يفقد حياته،

فأصبح هدف ابن البادية المعاصر جزءًا من كرامته، وتحديًا أشبه بقتال الماضي، لكن قتاله الحديث ليس مع أحدهم، وإنما مع الحياة، وليس اعتمادًا على السيف، وإنما على سلاح الاجتهاد والمثابرة والجَلَد.

واستلهــم ابــن البادية مــن انتظار الإبــل والأغنام والنخيل والصبــار والأعشاب والأزهار مواسم المطر؛ لتنعــم وتنمو وتزدهــر، فضيلة الصبر التــي استلهمها أيضًا مــن أيام التنقل بين الوجهــات بين الفيافي، من أرضــ إلى أرضــ، ومن مضارب إلــى مضارب، في رحلة تشاركه فيها الوحوشــ والأشباح، كأن البدوي مخلــوق من طينة الصبر، لكنــه في المقابل تعلم كيف يُعاجِل أهدافه حين تلوح له بسرعة خاطفة، كأنه يظفر بِنِدٍّ لَه في الحياة.

والبدوي، ذكي، علومه رأس ماله؛ فلولاها، بعد الله، لما أمكنه الاهتداء بالنجوم في دروب الصحراء، ولا استطلاع الأهلة لمعرفة الشهور والأيام، ولا معرفة مواسم الكلأ والكمأ والماء، ولا معرفة فنون التداوي في قفار معزولة ومفازات جرداء، ولا معرفة وجه

عدوه من صديقه بفراسته التي دُوِّنت فيها الكتب وتناقلتها الروايات.

بهذا الرصيد من الاجتهاد والصبر والجلد والاحتمال والشجاعة والاقتصاد والكرم والذكاء الفطري، واجه أبناء البادية في بلادنا من جيل الآباء حياة قاسية على الجميع، في زمن لم تكن بعد عوائد النفط قد صنعت الطفرة التي لطّفت على الجميع اليوم قسوة حياة الماضي، إلا أن أبناء البادية الذين أدركوا في الماضي أن هذه الصفات هي كنزهم الحقيقي، وأن هذه الكائنات التي شاركتهم شح حياة الماضي، ظلوا على عهدهم، بها، وعضوا بالنواجذ على انتمائهم للبادية، أمهم ومعلمتهم ومصدر إلهامهم، بكائناتها، ووجوهها، ومعالمها، لذا تجد البدوي منهم مهما تنقل في حياة المدن الحديثة، مختلفًا، متفردًا في احتفاظه بتكوينه الإنساني، وليس في جوهره سوى خليط من تكوين بيئته الأم. ويمكننا تتبع آثار حياة البادية في سيرة الدكتور سند بن مطلق السبيعي، أحد أخلص أبنائها،

وأيضًا، أحد الكائنــات القوية التي نشأت في أرضها، وتكيفت مع جميع الظروف حتى حافظت على فرصها في البقاء والنمو والازدهار.

بدأ عود الصغير سند يقسو مبكرًا منذ سنوات عمره الأولى، هناك في المنطقة الشرقية، حين بدأ هو وإخوته مبكرًا الاضطلاع بأدوار رجال صغار، يسعون في تعزيز موارد دخل لأسرتهم، أسوتهم في ذلك كائنات الصحراء التي تبدأ منذ ساعاتها الأولى في الوجود رعاية نفسها، والبحث عن رزقها بين الرمال، فبدأ الصغير سند مع أخوته رحلة العمل مبكرًا قبل أن يبلغ سن التاسعة، في مهنة جمع السكراب وبيعه، وهي مهنة بالغة المشقة على صغار في تلك السن، لكن الصغار الذين يحملون جينات البادية، كائنات لديها من البأس ما يجعلها قادرة في سن مبكرة على أعمال تثقل كواهل أقرانهم، من دون أن يروا في ذلك مشقة أو ضربًا من العذاب، بل كانوا يجدون فيه متعة، وهم يكتشفون قدراتهم على الاعتماد على النفس، والتواصل مع الأمم الأخرى، فكانوا، يترددون على

عمال شركة أرامكو الآسيويين، من أبناء الأمة الكورية على وجه التحديد، وفق ترجيح الدكتور سند الذي يقول: «كنا نجد صعوبة في محادثتهم لشراء قطع الحديد منهم، وكنا نكتب على الرمل بأيدينا السعر حتى نتفق معهم على صفقة الشراء».

هكذا لم يَعدم صغار البادية الحيلة للتواصل مع الغرباء، في غياب لغة مشتركة بينهم، إذ أدركوا بذكاء أبناء البادية الفطري، أن القاسم المشترك بينهم وبين العمال، هو الأرقام التي يتطلع كل من الطرفين إلى الحصول عليها، فاختزلوا المحادثة في كتابة الأرقام التي يعرضونها لعقد الصفقات على الرمال. وهذه مشاهد لا يمكن تجاهل تأثيرها على مستقبل قدرتهم على التواصل مع الآخرين، وقدرتهم على فهم المسالك التي يسلكونها مع الآخر لحسم المفاوضات بالذهاب إلى جوهر الموضوع، وهذا أيضًا سيكون له أثره في البحث العلمي لاحقًا، فبعد أعوام كثيرة، سيصبح سند السبيعي طالب الماجستير والدكتوراه، محدد الأهداف، ومركز الغايات، سواء على الصعيد

البحثي، أو المهني، وأيضًا قادرًا على إدارة المفاوضات مع الآخرين في شؤون العمل والحياة، بالإضافة إلى الثقة الكبيرة التي اكتسبها هذا الصغير في قدرته على العمل والكسب في تلك السن المبكرة، في وقت كان يخشى فيه السواد الأعظم من الأطفال مفارقة محيط منزل أسرهم أمتارًا معدودات؛ خشية ألا يتمكنوا من العودة، في حين أن ضياع الصبي سند السبيعي في مرحلة لاحقة في قلب الصحراء الواسعة التي تتحول في مثل هذه الظروف إلى خطر محدق بمن يضل طريقه فيها، لم ينل من ثباته وثقته واتزانه وقدرته على إدارة الأمور في تلك السن الصغيرة، يقول: «أذكر أنه في أحد الأيام انتقلنا بأغنامنا إلى موقع جديد بالصحراء، إلى جانب مرعى خصب، وقُبيل الغروب ركبت السيارة؛ لآخذ جولة بالبراري، لكن حدث أن الدروب تشابهت علي، وتهت في قلب الصحراء. أخذت أستدعي خريطة الطريق التي جئت منها من ذاكرتي، إلى أن وصلت أخيرًا إلى مشارف مضاربنا، حيث بيوت الشعر ووايت الماء، لكنني ما إن اقتربت منها

حتى اكتشفت أنها، أيضًا، التبست علي كما التبست علي الطريق، وأنها ليست بيوتنا، فأدركت أنني ضللت طريقي تمامًا، وهناك استقبلني أصحاب الديار، وحين علموا بقصتي، وعرفوا أسرتي، سعدوا بي، والتفوا حولي يغمرونني بالترحاب، واستضافوني عندهم لتناول العشاء معهم، والمبيت لديهم حتى الصباح، وفي اليوم التالي أرشدوني إلى مضارب أهلي».

يحيلنا هذا الموقف إلى ما تطرقنا إليه آنفًا عن فضيلة الكرم والتكاتف في بين أبناء البادية، في عالم الصحراء، حيث كلفت مثل هذه المواقف بعضهم حياته؛ لأن حظه لم يقده إلى مضارب أي من أهل الصحراء، فكان الموت عطشًا أو جوعًا أو بين أنياب الضواري أقرب إليه منهم. ويدلنا احتفاظ ذاكرة الدكتور سند السبيعي بهذا الموقف الذي تفصله عنه عقد من الزمن، على تأثير تفاصيل حياة البادية على أبنائها، إذ تجسد الامتنان الذي أبداه وهو يحكي هذا الموقف، امتنانًا موازيًا للبادية التي أدرك أن الذي أنقذه قيمها وتعاليمها التي تلقنها أبناؤها، وهي قيم

ستمتد لاحقًا في عطاء الدكتور سند في أبحاثه، وفي دعمه زملاءه في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وفي احتضانه طلابَه في المدرستين اللتين عمل بهما معلمًا قبل الالتحاق بعضوية هيئة تدريس جامعية، ثم في احتضانه طلابه في الجامعة، وتواصله معهم؛ تأثرًا بما حظي به من احتضان، في هذا الموقف وغيره، من مواقف طفولته وصباه في البادية.

ولم يكن جمع السكراب من أيدي أبناء الأمة الكورية عمال أرامكو ثم بيعه في الأسواق المهنة الأولى المبكرة في طفولة ابن البادية الخشن سند السبيعي وإخوته، إذ عرف الصغير طريقه إلى أعمال أخرى، مثل مساعدة الأسرة، في منزلهم الخشبي بجوار خط السكة الحديدية إبان وجودهم في المنطقة الشرقية، في إعداد طعامهم على ضوء النار التي يتشاركون جمع الحطب أو غيره من المواد القابلة للاشتعال، ورعاية الأغنام التي لم تكن تفارق أبناء البادية أينما حلوا، فكان لديهم في المنطقة الشرقية قطيع من الأغنام، يرعونها، ويشربون حليبها، ويتغذون من منتجاتها، وأيضًا، يبيعونها؛

لتأمين النقد اللازم لاحتياجات الأسرة التي لم يكن من الممكن تأمينها من طريق المقايضة، مثلما اعتادوا في مجتمع الخرمة البدائي البسيط، هناك حيث بيوت الطين في القرية، وبيوت الشعر في البادية، هناك، حيث يأتي أهل مزارع القرى المتاخمة للبادية إليهم، ليشتروا منهم مخلفات الأغنام التي يعتمدون عليها في تسميد أراضيهم الزراعية. يقول الدكتور سند عن تجارة ذاك الزمان التي كان يشارك أسرته إدارتها: «أتذكر أن أحد الأفراد كان يأتي لنا بالخبز ليقايضنا به، وفي المقابل نعطيه مقابله حليبًا طبيعيًا طازجًا، وكان أهلنا بالخرمة يعدوننا من أهل التجارة في ذاك الزمان؛ لأننا كنا نحكي لهم قصصنا بالشرقية وخصوصاً في البيع.» ويقصد هنا بيع السكراب، التجارة التي كان أهل الخرمة الذين يعيشون حياتهم الحالمة على بعد مئات الكيلومترات عنها، يصغون إلى قصصها، كما يصغون إلى أحداث فيلم عن الغرب. وتكشف هذه اللفتة، عن خبرة مضاعفة مبكرة، تجاوز بها سند السبيعي أقرانه في البادية، ففوق علمه بفنون حياة

البادية وأعمالها وتجارتها وحياتها وقيمها وخبراتها، أضاف إليه، أيضًا، خبراته في المنطقة الشرقية في مجتمع صناعي تجاري، فاكتملت لديه في سن مبكرة جدًا، خبرات مجتمعين شديدي التباين، أحدهما صناعي تجاري، والآخر رعوي زراعي؛ ما عزز مبكرًا من توسيع مداركه، وتغذية أفكاره بالجديد والمختلف، وسنرى كيف صنعت هذه الخبرات التي اجتمعت له الفارق بينه وبين أقرانه، وأهّلته لمستقبل مختلف تمامًا.

كانت أيام الإجازات المدرسية التي كان يلتحق فيها الصغير سند بأبيه في الصحراء، عملاً خالصًا، وتدريبًا مبكرًا على نمط حياة أشبه ما تكون بحياة الطيور التي تستيقظ مبكرًا؛ لتنطلق في طلب رزقها، فلا تعود إلا مع آخر النهار إلى أعشاشها، حياة متوافقة مع سنن الكون، ومع تعاقب الليل والنهار، يقول الدكتور سند: «مع دخول وقت الفجر يوقظنا والدي لأداء الصلاة، ثم نشعل النار للتدفئة في صباحات صحراء الخرمة الباردة صيفًا، وقارسة البرودة شتاءً، ثم يتولى والدي مهمة حلب الناقة التي لم تكن لدينا الخبرة بعد لأدائها

آنذاك، في حين نساعده نحن أنا وإخوتي ووالدتي في إعداد القهوة الصباحية، وكان إعداد القهوة من المهام المبكرة التي حرصت الوالدة والوالد على أن نتعلمها مبكرًا، فهي رمز للضيافة والكرم، وعلى الكبير والصغير أن يتعلموها؛ كأنها شهادة مبكرة بالكرم ينالها أحدنا. هكذا يكون إفطارنا؛ دلة القهوة، إلى جانب أبريق من حليب الإبل، ورثنا حبه عن والدي، رحمه الله. وبعد هذا الإفطار الشهي الذي يوقظ حواسنا، ويمنحنا الطاقة اللازمة لبدء اليوم، يأتي دور صغار الغنم في الإفطار، فنتوجه مباشرة إلى حظيرة الغنم؛ لنرضع صغارها، وبعد اطمئناننا إلى أنها شبعت، تتولى والدتي، بمعاونتنا، حلبها، لبيع منتجاتها، وهي مهمة تتولى الوالدة الإشراف عليها إشرافًا كاملاً، مع توزيع ما يناسبنا من الأدوار علينا، كل حسب سنه، بعد ذلك نتوجه بالغنم إلى المرعى حيث نطلقها في البراري، وبصحبتنا جزء من إفطارنا لتقديمه لراعي الأغنام هناك، حيث نمكث بصحبتها هناك أحيانًا؛ لنتولى مهمة رعايتها في البراري، في حين يعود

الراعي إلى أبي ليكلفه بأعمال أخرى لديه هناك، حيث يقوم والدي بمتابعة مسير الإبل حتى تستقر بالمرعى، ثم يتركها برفقة الراعي، أو مقيدة، ويعود للاضطلاع ببعض الأعمال، على شاكلة؛ صيانة الحظائر، أو تصليح السيارات المتعطلة، وقبيل الظهر يأخذ غفوة قصيرة، ثم يستيقظ لصلاة الظهر، فنتناول الغداء معًا أنا وإخوتي وأبي وأمي، ثم مع العصر يذهب والدي للاطمئنان على الإبل في المرعى، بعد تناول الشاي بالليمون الذي تعده إحدى الأخوات لنا جميعًا، وقبيل الغروب ترجع الغنم والإبل، فنتكاتف جميعًا في تجهيز أعلافها، وسقيها، ثم في المساء نذهب إلى الجيران، أو يأتون هم إلينا، لنبدأ جلسة سمر، مع رشفات من القهوة أمام ضوء النار للتدفئة والتسلية، فتبدأ حلقات من قصص كبار السن ورواياتهم حول ذكريات أيام صباهم، ومعاناتهم في مقاومة العطش في الصحاري، وكيف كانوا يعبرون الكثبان الرملية العالية في رحلة لا تخلو من المخاطر على الحياة، وأيضًا، معاناتهم في الحصول على الماء من الآبار، وكيف كانوا يسقون

أغنامهم وإبلهم، ومعاناتهم مع مخاطر الصحراء ليلاً ونهاراً لحماية أنفسهم وأغنامهم وإبلهم من الذئاب واللصوص في ذاك الزمان، وأحيانًا، يتحولون إلى الحديث عن قصص الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، ومعاركه في أيام توحيد البلاد».

وسنرى، لاحقًا، كيف سيؤثر هذا النظام اليومي الثابت الدائم الذي لم يتخلف أي من أفراد الأسرة عن أداء واجبه داخل دورة عمله، على حياة الصغير سند، حين يصبح رجلاً مستقلاً مسؤولاً، لديه أسرة، ولديه أهداف كبيرة متداخلة، ومهام متعددة تحتاج إلى نظام يومي صارم لأدائها من دون كلل أو ملل، حينها ستساعده هذه الحياة التي تبدأ دورة يوم عملها مع أول ضوء للفجر، ولا تنتهي إلا قبيل غروب الشمس، كأن الحياة تعده لمهمة شاقة عليه أن ينجزها من أجل المستقبل.

ولم تكن مهام العمل التي بدأت مع عودتهم إلى الخرمة، مقتصرة على رعاية الأغنام في البادية،

وغيرها من الواجبات التي كان الصغير سند وإخوته يكلفون بها من قبل الوالد أو الوالدة، إذ كانت لديهم مهام أخرى بالغة المشقة في القرية، يقول الدكتور سند: «من مهام عمل الطفولة التي تحضرني دائمًا، أننا كنا عند بدء الصيف نجني من مزرعة عمتي الحبحب والجوافة والليمون «أبو زهير». كنا صغارًا لا يمكننا قطف الثمار من الفروع العالية، فكانت حيلتنا أن نهز الشجيرات لتسقط ثمارها التي دخلت طور النضوج، ثم نجمعها ونعود بها. أما أيام صرام النخيل وجمع التمر، فكانت أيامًا مريرة بالغة المشقة، كأنها فترات من التعذيب نتعرض لها في مزارع النخيل، تبدأ منذ الصباح الباكر، فلا تنتهي إلا مع العصر تقريبًا، حيث كان علينا أن نمضي اليوم في جمع ما يتساقط من رطب النخل في آنية كبيرة، نحملها فوق رؤوسنا لنضعها أمام كومات متراكمة من التمور في مكان لتجميعها، بين أيدي جماعة من النساء يقمن على عملية تنقيتها من العوالق وما قد يلتصق بها من الشوائب، وفرزها للتخلص من التمور الرديئة والمتيبسة، ثم في نهاية

اليوم تكون أجرة الواحد منا لا تتجاوز ملء الإناء الذي كان يحمل فيه التمور على رأسه، تمرًا، والعودة به إلى منزله، وهي مهمة لم تكن تنجح ثمار التمور الشهية في كسر مرارتها في حلوقنا، فبعد نهار من العمل الشاق، لا نأكل فيه شيئًا إلا مع دخول وقت العصر حين يجتمع الجميع لتناول الطعام، كان أحدنا يفقد الاستمتاع بأي شيء، فقط الراحة كانت مبتغانا للحصول على قسط من النوم، ريثما يبدأ العمل الشاق في صباح اليوم التالي، إلى أن ينتهي موسم صَرم النخيل. ولم تكن هذه مهمتنا الوحيدة، في موسم صرم النخيل، فقد نساعد أهلنا، على شدة حرارة الصيف، في كنز التمر وحفظه، حيث يتم نشر التمر على بساط كبير حتى يصبح لينًا، ثم يوضع في أكياس بلاستيكية، ثم تضغط عليه بشيء ثقيل حتى يتراص بعضه فوق بعض، ويبقى محفوظاً لعدة سنين. عمل شاق ومتعب وسط لهيب الصيف، لا أنساه حتى اليوم، ولا أنسى شعوري وكأنني أتعذب به وأتطلع إلى اليوم الذي ينتهي فيه الموسم».

هكذا كان موسم صرم النخيل يضيف مهمة أخرى شاقة، إلى قائمة المهام التي كانت تملأ طفولة سند السبيعي، والتي أهلته لخوض مهام عمل المستقبل الشاقة باعتياد أتى به من الطفولة، ومن دون أن يشكو أو يتحدث عن معاناة، فقط يكتفي بكلمة «بكل تأكيد»، حين تشير أنت إلى أن حياته منذ دخوله الجامعة، حتى حصوله على الدكتوراه، كانت أعوامًا من المعاناة والركض وراء الوقت والعمل، والركض أمامهما أيضًا، في مشهد كفاح طويل من أجل المستقبل، من أجل الحلم الكبير الذي وضعه ابن البادية سند السبيعي أمامه، كأنه عذوق نخلة قرر تسلقها، أو جمل سارح في فلاة يبحث عنه ليعود به إلى الديار جالسًا فوق سنامه، أو قطيع من الأغنام عاد به مكتملاً، أخيرًا، بعد صراع مع الذئب.

هذه الأدوار المبكرة التي اضطلع بها الدكتور سند السبيعي في طفولته، وثقافة العمل التي اكتسبها مبكرًا، والثقة الكبيرة في القدرة على الاستقلال والاعتماد على الذات، وكسب الرزق، كانت كلمة السر في استقلاله

ماديًا عن أسرته لاحقًا، مع بدء دخوله الجامعة، آخر عهده بدعم الوالد إياه، بل أول عهده هو بأن يكون هو داعمًا و«سندًا» لأبيه.

فبعد عام من الالتحاق بالدارسة في الجامعة، التحق في الوقت نفسه بالعمل في القطاع العسكري (الحرس الوطني)، وكان أحد خياراته لتوفير مصاريف الدراسة والمعيشة، ولا سيما أنه كان يعيش بعيدًا عن أهله. خليط من الكرامة والشعور بالمسؤولية، جعل ابن البادية سند السبيعي، يشعر بأنه من العيب أن ينفق عليه أهله وهو رجل، وأن يقتطعوا من المال المخصص لمعيشتهم ليرسلوا إليه نفقات تعليمه. تصرف يبدو استثنائيًا ومختلفًا من أبناء أسر وبيئات كثيرة، لكنه ليس مستغربًا بكل تأكيد من شاب، بدأ رحلة العمل طفلاً في التاسعة في جمع السكراب مع أخوته، ثم عمل في رعي الغنم لوالده، العمل الذي تخللته أعمال كثيرة شاقة في مزارع نخيل القرية، فكان من البديهي أن يواصل العمل لينفق على نفسه ويدبر معيشته في سنوات الدراسة الجامعية في الرياض، بعيدًا عن أسرته، فاجتمع عنده العمل،

والدراسة، وأيضًا الغربة في عاصمة كان حديث العهد بها، وكان عليه أن يتدبر جميع شؤونه فيها، بعيدًا عن أسرته وأقاربه، وبعيدًا عن البادية، عشقه الذي لم يفارقه يومًا، لكن التعليم يستحق، والمستقبل يستحق. يقول الدكتور سند عن تجربة جمعت بين العمل منسوبًا للحرس الوطني، والتحاقه بالجامعة طالبًا، بمهمتَي عمل ودراسة كاملتين: «بعد سنة من التحاقي بالحرس بدأت حرب تحرير الكويت، فتطلب ذلك مني أن أكون موجودًا باستمرار على رأس العمل لأداء المهام المطلوبة مني، في ظل حالة استنفار عام في جميع القطاعات العسكرية. أسقط في يدي أمام هذا الواقع الضاغط الذي أصبح يهدد دراستي أو عملي، ولم يكن في إمكاني التفريط في أي منهما، فعملي مهم لحياتي، ودراستي مهمة لمستقبلي كله، كان قلقي وحيرتي بالغين وأنا أفكر فيما يمكنني أن أفعله للإفلات من هذه المعضلة، ولجأت إلى الله ليدبر لي أمري، وسبحان الله كأن أبواب السماء فتحت لدعوتي، إذ صدر قرار بتوقف الدراسة نظرًا إلى ظروف الحرب، فكان سروري بالغًا بهذا القرار

الذي كان بالنسبة إلي طوق نجاة. نعم كان الجميع في الحرس الوطني يتكاتفون معي، ويساعدونني، بفعل علاقاتي الطيبة مع الجميع، إذ كنت موضع ثقة زملائي جميعًا، حيث كانوا يستعينون بي لكتابة خطاباتهم لمن يحتاجونه من الناس؛ لأنني كنت الجامعي الوحيد من بينهم، وأيضًا كنت أمين أسرارهم، فكانوا يحفظون لي هذا الصنيع جيدًا، ويحاولون مساعدتي على التوفيق بين عملي ودراستي، لكن ظروف الحرب كانت ضاغطة على الجميع، فجاءني الدعم هذه المرة من السماء».

وعن طبيعة عمله في الحرس الوطني والمهام التي كانت توكل إليه يقول الدكتور سند السبيعي: «كان عملي بالعسكرية يتطلب منا الحضور واستلام الدوريات أو الحراسة لبعض المنشآت المهمة، وأذكر أنه أثناء حرب الخليج الأولى ( حرب تحرير الكويت)، كنت في دورية حراسة بالرياض، وكانت الرياض شبه خالية من البشر، وخصوصًا في الليل، وأثناء جولتنا في أحد الشوارع أعلنت صافرة إنذار بوجود صاروخ في الجو قرابة الساعة التاسعة مساءً، فشاهدت أحد

عمال مركز صيانة يخرج مسرعًا، ويقف في الشارع يتلفت يمنة ويسرة وهو مذعور؛ على أمل أن يعرف الجهة التي قد يأتي منها الصاروخ، وأمارات الهلع بادية على وجهه، وعندما تحير في معرفة وجهة الخطر المقبل، رجع المسكين إلى الداخل من حيث خرج.
كانت فترة استثنائية وأجواء حربٍ رهيبة يعيشها الجميع، ولا أعرف إن كنت محظوظًا أو سيئ الحظ آنذاك أنني عشت في هذه الفترة باللباس الرسمي، لا يمكنني أن أصف شعوري حينها، يقينًا لم أكن سعيدًا بهذا، فلا أحد يسعد بالحرب، لكن يمكنني القول إنه رائع أن يكون لدى المرء ذكرى بهذه الخصوصية والأهمية والقيمة ليحكيها، ورائع أكثر أن تكون أحد جنود وطنك وقت الحرب. على أي حال فبعد خمسة أعوام سنوات من العمل أنهيت المدة النظامية في الخدمة العسكرية، وحصلت على وثيقة تخرجي من الجامعة بعد حصولي على درجة البكالوريوس، فقدمت استقالتي من الحرس الوطني الذي لا أنسى فضله علي في أعوام الجامعة، ومن قبل فضله على أبي

الذي بدأ حياته أيضًا بالعمل في الحرس الوطني، فكان شرف الخدمة الوطنية في هذه المؤسسة العسكرية العريقة شرفًا إضافيًا ورثته عن أبي، وقدرًا جمع بيننا، وما أجمله من قدر. ويحضرني من ذكريات أيام التحاقي بالحرس الوطني، أنني، حتى أوفق بين دراستي وعملي، وحرصًا على استغلال كل ساعة فراغ، كنت أحمل معي كتابًا إلى العمل أحيانًا، فإن كلفت بعمل عسكري يتعارض مع وقت محاضراتي في الجامعة، أستعين بأحد الزملاء لينوب عني إن أمكن، ولست في حاجة للحديث عن وقفات رجال الحرس الوطني وشهامتهم، أو أستأذن من عملي، ولم يكن المسؤولون بأقل إنسانية وشهامة ونبلاً من زملائي أفراد الحرس الوطني، فكنت أجد منهم دعمًا كبيرًا كأنهم إخوة كبار لي وأعمام، فكم كانوا متفهمين ومقدرين عزمي على الجمع بين الدراسة والعمل لإعالة نفسي، بل لدعم أسرتي أيضًا، إذ كنت أحرص على إهداء جزء من راتبي لأبي؛ لأسعده بثمرة حسن تربيته، ولأشعره دائمًا بأن ابنه أصبح رجلاً تحمل مسؤوليته في سن

مبكرة، ولم يعد عبئًا عليه، مثل حال كثير من الطلاب في تلك السن، لكنني في الحقيقة، لم أكن أتحمل فكرة أن يواصل أبي الإنفاق علي وأنا رجل كبير، إذ كنت أرى أن العكس هو ما ينبغي أن يكون، وأنه آن الأوان ليستريح أبي من عناء الإنفاق علي، وأن يتفرغ لمواصلة رسالته مع بقية إخوتي، وأتصور أن هذه النية الطيبة هي التي فتحت لي المغاليق وكانت سببًا في عون الله لي، وتسخير الناس لمساعدتي، وقناعتي الشخصية أن المرء مهما اجتهد، فلا قيمة لاجتهاده من دون رضا الوالدين، ودعائهما، وبوسعي القول إن دعاءهما رحمهما الله لي ورضاهما عني، هو السر الحقيقي وراء كل شيء تحقق لي، وليس اجتهادي وحده أبدًا».

❀ ❀ ❀

ولم تكن سُنَّة العمل التي اكتسبها سند السبيعي، الفضيلة الوحيدة التي خرج بها من طفولته الصعبة التي أمضى معظم أوقاتها في العمل، حتى مُتَعُها كانت ممزوجة بعَرَق الكَدّ، إذ اكتسب أيضًا من أعوام تجارة

السكراب، فضيلة الادخار وأهميتها لامتلاك رأس المال الكافي لشراء قطع الحديد من عمال أرامكو الكوريين، الفضيلة التي جنى ثمارها يوم تخرج في الجامعة، ولديه مبلغ من المال، ادخره من راتبه بالحرس الوطني على مدار خمس سنوات، كان كافيًا ليتزوج، وينشئ أسرة، ويشتري سيارة جديدة يستقبل بها أسرته في عالمه الجديد.

هكذا في وقت يقف فيه الخريجون بعد إنفاق أهلهم عليهم على مدار سنوات الجامعة، يبحثون، عن فرصة عمل، وليس لديهم من حطام الحياة سوى المصروف الشهري الذي يأخذونه من أهلهم، كان خريج الجامعة الحديث سند السبيعي، الذي أنفق على نفسه على مدار سنوات الجامعة، لديه من المال، ما يكفي، للزواج، ولشراء سيارة، هكذا صنعت سنوات الطفولة الصعبة رجلاً قاسي العود، لكنه لين القلب لأسرته، أبيه وأمه وإخوته، ولين القلب أيضًا للبادية ببشرها وحجرها وكائناتها التي لم تفارق خياله لحظة، حتى إنها لاحقًا ستحظى بأكبر منجز في مسيرته.

وليس معنى الوصول إلى هذه المحطة أن نقول إن رحلة سند بن مطلق السبيعي، مع المعاناة والعمل المضني انتهت، فلم تكن سنوات الالتحاق بالحرس الوطني، والجمع بين العمل والوظيفة، آخر عهده بالجمع بين عملين، لكن يمكننا القول إن هذه النهاية السعيدة لفترة الجامعة، لم تكن سوى نهاية جولة من جولات المعاناة والكفاح، وإن جولة جديدة ستبدأ، من أجل الوصول إلى أهداف جديدة، وفي مسرح معاناة جديد. سيواصل الصغير سند برنامج عمله اليومي الشاق المتواصل الذي اعتاده منذ كان يبدأ يومه فجرًا بإعداد القهوة الصباحية والحليب برفقة الوالد والوالدة وإخوته في البادية قبل الانطلاق إلى نهار عمل طويل يمتد حتى المساء، ستبقى رائحة القهوة والحليب تملأ صباحات منزل الصغير الذي أصبح زوجًا أخيرًا، الجديد أنه أصبح في بيته الذي أنشأه من عرق كده وكفاحه، ويتناول القهوة والحليب مع زوجته، الشخصية الجديدة التي ظهرت أخيرًا على مسرح الكفاح، لتقوم بدور الأم في القصة الجديدة

وليحتل أبناؤه الصغار مكانه هو وإخوته، ويحتل هو مكان والده في الأسرة الجديدة، وستبقى القهوة والحليب أيقونة حياة قديمة في حياة ابن البادية سند السبيعي الجديدة.

واصل سند السبيعي رحلة الجمع بين عملين بعد التخرج، فكان عليه أن يجمع بين العمل والدراسة في الجامعة لسنوات من أجل الحصول على درجة الماجستير، ثم كان عليه أن يجمع بين العمل والدراسة في الجامعة لسنوات أخرى حتى يحصل على درجة الدكتوراه، وكان مؤهله الجديد يمكنه من الالتحاق بوظيفة تناسب خريج جامعة، وتؤمن له راتبًا أفضل من أجل الاضطلاع بمسؤوليات حياته الجديدة وأسرته، فالتحق بالعمل معلمًا بمدارس الأبناء بالرياض، وتقدم في الوقت نفسه إلى الجامعة للحصول على درجة الماجستير، هكذا كان عليه أن يبقى لأعوام طويلة ملتزمًا بسيناريو العمل اليومي؛ فيعمل في المدرسة بالتدريس صباحًا حتى فترة ما بعد الظهر، ثم يتوجه بعدها نحو الجامعة، ليواصل دراسة الماجستير من حضور محاضرات، وبحث في مكتبة

الجامعة، ولقاءات مع الأساتذة، ومع مشرفه، ونقاشات مع الزملاء، ثم مع قرب حلول المساء يعود إلى أسرته؛ ليرعى شؤونها، ويلبي احتياجاتها، ويتناول عشاءه، ثم ينام مبكرًا حتى يتمكن من الاستيقاظ مبكرًا لبدء يومه على رائحة القهوة والحليب، ثم ينطلق إلى ساعات نهاره الطويل المزدحم.

وبعد حصوله على درجة الماجستير، لم يختلف شيء من هذا السيناريو، فقط اختلفت جهة العمل، إذ كان عليه أن يبحث عن مدرسة جديدة قريبة من الجامعة التي تقدم إليها للحصول على درجة الدكتوراه. كان الوقت الطرف الأهم في المعادلة الصعبة التي كان عليه تحقيقها، في ظل ضغوط درجة الدكتوراه التي تتجاوز بكثير ضغوط درجة الماجستير، والتزاماتها الكبيرة التي كان عليه الوفاء بها؛ من أجل الحصول على اللقب الغالي، فعند قبوله على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود، التحق بمدارس القوات الجوية بالرياض؛ لقربها من الجامعة، حتى يوفر ساعة أو ساعتين ثمينتين من ساعات اليوم المتداخل الأوقات بين المدرسة التي

كان يبقى بها حتى الظهر، والجامعة التي كان ينتقل إليها مباشرة بعد انتهاء ساعات المدرسة التي كانت إدارتها تتعاون معه لتساعده على الالتزام بساعات حضوره المحددة في الجامعة، حيث كان عليه البقاء حتى المساء أحيانًا، لا يسمح إلا للضروري والمهم وما لا ينتظر من التزاماته نحو أسرته.

كانت سُنَّة العمل التي نشأ عليها الابن سند في بيت والده كنزه الحقيقي، يقول الدكتور سند: «كان العمل مقدسًا عند والدي، وكان يحضنا دائمًا على العمل عندما نتكاسل عنه أو ننشغل باللهو، فكان، طيب الله ثراه، يردد على مسامعنا هذا البيت من الشعر:

**احفظ حلالك اللي عن الناس مغنيك**

**اللـي إليـا بـان الخـلل فيـك يرفـاك**

نعم، زرع فينا والدي، رحمه الله، قيمة العمل مبكرًا، ونشَّأنا على أن العمل، لا يوفر للإنسان مورد الرزق الذي يعيش منه وحسب، بل يوفر له الأهم من ذلك، وهو كرامته، وأن العمل وحده هو الذي يحفظ كرامتنا

من مد أيدينا لغيرنا لطلب المال، إذ كان، رحمه الله، يرى هذا الأمر ضد الكرامة الإنسانية، ويرى أن أعظم ما يحفظ الإنسان به كرامته أن يعمل؛ حتى يستغني بعمله عن الناس، فكان، رحمه الله، يردد دائمًا: «انجز عملك بنفسك.. الناس لن تعطيك شيئًا أبدًا.» كان يردد هذا كثيرًا على مدار ساعات يومنا، كلما لمس من أحدنا تكاسلاً أو انصرافًا عن العمل، كأنه يملي علينا دروسًا في الحياة. ويقينًا كان يدرك أننا صغار، ومن حقنا أن نحظى بشيء من الترويح، لكنه كان يريد لأصداء هذه العبارات أن تتردد في آذاننا عندما نصبح يافعين، وهذا ما حدث بالفعل، فعبارات والدي، رحمه الله، لم تزل تتردد في أذني حتى اليوم، وعلى مدار رحلتي، كانت زادًا لي في حياتي في كثير من المواقف التي عملت فيها بمشورته، حتى بعد وفاته، طيب الله ثراه، كأنه حي بيننا. أيضًا كان والدي، دائماً، قنوعاً بالرزق، ولم تشغله زخارف الدنيا، أو ينظر إلى ما عند الآخرين من ملذات الدنيا وزينتها وما يملكونه، وهذه السمات أيضًا اكتسبناها منه أنا وإخوتي، فلله الحمد».

❀ ❀ ❀

ولم يكن شقاء الجمع بين عملين على مدار أكثر من عشرة أعوام، بل الجمع بين عملين والتزامات أسرة كاملة بعد التخرج، المعاناة الوحيدة التي كان على سند السبيعي أن يواجهها ويتحملها ويتجاوزها، مستلهمًا أيام العمل الطويلة التي أتى بها من طفولته، أيضًا لم تكن ساعات عمل الطفولة الطويلة تلك، المعاناة الوحيدة التي عاشها وتحملها مبكرًا في حياته، بل لم يتحدث الدكتور سند السبيعي في أثناء جلسات الإعداد الطويلة لهذا العمل عن معاناته من العمل في الطفولة، ولم يتوقف أمامها إلا في إشارات عابرة، كأنه يرى أن هذه طبيعة حياة قاسية كانت مفروضة على الجميع آنذاك، نعم كان حظ أبناء البادية من معاناتها أكبر، لكنها تبقى معاناة الجميع، وسمة غالبة على مرحلة زمنية كاملة، أما المعاناة التي توقف أمامها أكثر من مرة، فكانت معاناة غياب أبيه الطويل، والأيام التي كان يترقب فيها عودة أبيه دائم الغياب، في الرياض أو نجران أو الخرمة، في زمن إقامتهم في المنطقة الشرقية،

أو عند أغنامه وإبله في البادية بعد عودتهم جميعًا إلى الخرمة. كانت هذه المعاناة أول درس مبكر في الصبر والتحمل والجلد في تجاوز الصعوبات والعقبات، بل وفي تجاوز الإساءات ومسببات الإحباط، وعدم التشكي أو التذمر، والجَلَد في سبيل الوصول إلى الأهداف.

ولم يتعلم سند السبيعي هذا الصبر العظيم وذاك الجلَد اللذين خاض بهما حياة بالغة المشقة، فقط من غياب أبيه الطويل، فما أكثر تمرينات الصبر والجلد الصعبة التي كان عليه أن يمارسها في زمن مبكر، ففي المرحلة المتوسطة في متوسطة الخرمة، المتوسطة الوحيدة آنذاك، وكانت مدرسة مستأجرة ذات سقف خشبي، كان عليه أن يحتمل أيام سقوط المطر الذي كان يحول حجرات الدراسة إلى برك ماء صغيرة، ومع تفاقم الوضع تتعذر الدراسة في الحجرات تمامًا بعدما تمتلئ جميع الحجرات بالماء؛ ما يتسبب في تعطل الدراسة، ويجعل إدارة المدرسة تلجأ إلى فناء المدرسة الذي يتحول إلى مكان بديل لحجرات الدراسة؛ فيجلس

الطلاب على بساط في الفناء يراقبون معلميهم الذين كان عليهم رفع أصواتهم حتى يضمنوا وصولها إلى أسماع الطلاب بوضوح في هذا المكان المفتوح، أيضًا كان على الطلاب أن يصغوا جيدًا ليسمعوا، ويحاولوا التركيز بقوة حتى يتخلصوا من أي مؤثر خارجي قد يشغلهم عن معلميهم في هذا المكان المفتوح، فضلاً عن مشقة الكتابة في هذا الوضع وهم جالسون على الأبسطة.

وكان من تمرينات الصبر والجلد، لكنها يومية هذه المرة، اضطرار الصغير سند إلى أن يقطع كل صباح مسافة ثلاثة كيلومترات سيرًا على قدميه في هذه السن الصغيرة؛ حتى يتمكن من الوصول إلى المدرسة، وأيضًا، كان عليه أن يقطع المسافة نفسها ليعود إلى منزلهم بعد انتهاء اليوم الدراسي، بكتبه ودفاتره وأدواته المدرسية معلقة على كتفه.

لكن صبرًا من نوع مختلف، كان على الطالب المكافح الذي قطع ثلاثة كيلومترات مشيًا على قدميه حتى يصل إلى المدرسة أن يتحمله، ألا وهو الصبر

على النظرات السيئة التي كان يراها في أعين بعض أقرانه، بل ويسمعها في تعليقات بعضهم، غيرة من هذا الصغير البدوي الذي ابتلاهم الله به ليعايرهم به المعلمون، كلما أجاب عن سؤال أخفقوا هم في الإجابة عنه، فكان وصفه بـ»البدوي» يشعرهم بأن هناك شيئًا يتفوقون به عليه، لكن اعتزاز الصغير ببيئته البدوية البسيطة كان فوق ما يتصوره أقرانه، وما كانوا يحاولون الترويج له على أنه نقطة ضعف فيه، كان هو يدرك تمامًا أنه نقطة تميز، وأن هذا الحديث من بعض زملاء الدراسة ليس سوى تعبير عن مرارة الهزيمة أمام زميلهم النجيب.

وفي وقت كان فيه معظم المعلمين ينظرون باعتزاز إلى الصغير سند، الطالب المتفوق الآتي من البادية، ويشجعونه، ويعدون انتماءه إلى مجتمع البادية إحدى مزاياه، كانت هناك قلة منهم، من فئة المعلمين غير العابئين بتشجيع الطلاب المتميزين، لديهم النظرة غير المنصفة ذاتها إلى الطالب البدوي، لكن حكمة الكبار التي أصغى إليها الصغير منذ سنوات عمره المبكرة في

مجالس أبيه وأصدقائه وجلسائه من شيوخ البادية، كانت ينبوع حكمة اغترف منه الصغير، فاكتسب من الثقة والحكمة والصبر، ما جعله قادرًا على التغافل عن هذه الصغائر، وإدراك أن أبلغ رد عليها المزيد من التفوق، وأن التفوق وحده، وبلوغ الغايات الرفيعة، كفيل بإسكات الجميع.

❀ ❀ ❀

أيضًا كان رصيد الدكتور سند السبيعي من الصبر والجلد والعزيمة كافيًا لتجاوز بواعث الإحباط، ومحاولات تثبيط عزيمته، وإثنائه عن الطريق التي اختارها لنفسه. بعض هذه المحاولات كانت عن حسن نية من أصحابها، وظنًا منهم أنهم يرشدونه إلى الخير، لكن بعضها الآخر لم يكن كذلك، يقول الدكتور سند: «من دواعي الإحباط التي كان علي أن أتحملها في زمن مبكر من مسيرتي العملية، قلة التشجيع على الدراسة من الأقارب في القرية، حتى إن بعضهم كانوا يلومونني صراحة في إصراري على مواصلة رحلتي في التعليم، ويعربون عن استيائهم من انصرافي إلى العلم

والدراسة بقولهم: «الحلال[٧] غنيمة.» هكذا يتهمونني صراحة بالتفريط في حظي في المستقبل وإهمال ما لدينا من الأغنام والإبل بدلاً من التفرغ لتنميتها، ولم أكن، حينها، في موضع يؤهلني لأن أقول لهم إنني بالتبحر في العلم يمكنني أن أقدم للحلال، على حد وصفهم، أكثر مما يقدمونه، وأن القيمة المضافة الحقيقية، أن أخدم الثروة الحيوانية في بلادي كلها، وليس ثروتي أنا أو عائلتي فقط، بالبحث العلمي، لكن أظن أنني، اليوم، في موقع يؤهلني لأقول ذلك، ويؤهلني لأن أقول لمن اختلف معي ناصحًا، إنني كنت على حق، مع حبي وتقديري لكل ناصح. لكن بعض من التقيتهم، لم يكونوا ناصحين أبدًا، إذ تعمدوا الإساءة إلي، وهم قلة بالطبع في مقابل كثيرين كانوا يدفعونني إلى الأمام ووقفوا إلى جانبي وقفات لا أنساها، لكن ربما أن قسوة الإساءة تجعل ألمها باقيًا، نشعر بوخزه كلما استدعاه أحدنا. أيضًا أذكر أن أحد أساتذة القسم كان يقول لي

(٧) «الحلال» تسمية محلية تطلق على الإبل والأغنام وما شابهها من الثروة الحيوانية.

من باب النصيحة، في مستهل التحاقي بالدراسات العليا: لن تستفيد من الدراسة شيئًا. انظر إلى وضعي، فأنا أستاذ جامعي، ولا أمتلك إلا راتبي فقط، بينما التجارة نقلت أهلها نقلات فارقة، فقد رأيت من هو أقل مني علمًا أو لم يتعلم من الأساس، ويمتلك ثروات طائلة، وأصبح من التجار المشهورين».

ويعلق الدكتور سند على الدعوة الصريحة من أستاذه بالتخلي عن طريق العلم قائلاً: «هذه المرة أصابني الإحباط حقيقة؛ لأنني كنت أراه قدوة، وكان أستاذًا مقربًا إلى نفسي، ومنارة أكاديمية، وأعترف بأنني تأثرت بنصيحته، وأعترف، أيضًا، بأن هذا التأثر بأستاذ كبير له منزلته عندي، تسبب في تأخري قليلاً عن التقدم العلمي، لكن صوتًا قويًّا داخلي كان يلح علي أن أعود لمواصلة طريقي الذي اخترته لنفسي، فحزمت أمتعتي وعدت مجددًا إلى رحلة العلم، وواصلت التأليف والدراسات العليا، بعدما قررت أخيرًا أن أعد هذه النصيحة أكبر عقبة واجهتها في حياتي، على صعوبة ما واجهته، لكنها من دون غيرها أثرت فيّ؛

لأنها لم تكن من شخص عادي، واليوم بعد مواصلة رحلتي، وبلوغ المقعد الذي كان يحدثني منه أستاذي، أنصح كل من اختار درب العلم أن يواصل المسير، وألا يحسب الحياة بالدرهم والدينار، فكل منا في هذه الحياة لديه رسالة، ولن تأخذ من المال إلا كفايتك، فما قيمة الأرصدة ولديك حلم جميل لم تحققه. الندم على المال يهون، أما الندم على العلم وعلى تضييع الحلم، فلا شيء يهونه، ولا عزاء للإنسان فيه».

ويستدعي الدكتور سند موقفًا آخر من الذاكرة، كان من العثرات النفسية التي واجهها، أيضًا من أستاذ جامعي، يقول الدكتور سند: «عندما تقدمت للحصول على درجة الماجستير سألني أحد أعضاء لجنة المناقشة قائلاً: «أنتم المعلمين وضعكم المادي جيد، فلماذا تبحث وتسعى وتتعب نفسك لتدرس الماجستير؟»، فأقررت ما قاله بشأن وضعي المادي الجيد في التدريس، وحاولت الرد بدبلوماسية قائلاً: «أحسنتم، لكنني أبحث عن مظلة علمية لإبراز جهودي في التأليف، ولتكون حافزًا لي للعطاء والتميز.» أيضًا

بعض الأساتذة يحدثك بطريقة فيها كثير من الفوقية، إلى حد يصيبك بالإحباط، كأن يقول لنا أحدهم إن أبحاثنا ضعيفة متواضعة المستوى، بل إنها في مستوى المرحلة الابتدائية، على ما أبذله شخصيًا من جهد بحثي فوق العادة وجدية في التنقل بين المراجع، وبدلاً من أن يأخذ بأيدينا ليرتقي بمستوى أبحاثنا فوق مستوى المرحلة الابتدائية، بحسب وصفه، فكم كان هذا أمرًا يشعر المرء بأن شيئًا يتحطم داخله. وفوق هذا وذاك، كان بعض الأساتذة يضاعفون معاناتنا، حين لا يقدرون ظروف طلاب الدكتوراه، وكان توقيت موعد المحاضرات بعد الظهر يعد معاناة أخرى لنا، فالكثير يكونون منا للتو خارجين من المدارس بعد يوم عمل مرهق في التدريس، وبأننا وفي أمس الحاجة إلى الراحة والحصول على قيلولة صغيرة بعد يوم من الجهد مع الطلاب يبدأ في الصباح الباكر، وأن لدينا أسرًا وأبناء، نتركهم من دون أن نعرف عن أحوالهم شيئًا منذ الصباح وحتى الغروب. معاناة ضاغطة، وجهد مضاعف، كانا يدفعان المرء كثيرًا في أوقات

تتزايد فيها الضغوط إلى الإطاحة بهذا كله، والتخلي عن إكمال دراسة الدكتوراه، لكنني كنت أستعيد رباطة جأشي من جديد، وأستعين بالله على ما أتعرض له من ضغوط، ومسببات إحباط، وفي الصباح أقوم بروح جديدة، لمواصلة الركض نحو هدفي من جديد».

ويتطرق الدكتور سند، إلى نوع آخر من المثبطات والمعوقات ومسببات الإحباط التي قاومها على مدار رحلة كفاح طويلة في دروب العلم، بالقول: «أيضًا أسئلة الأقارب الدائمة عن موعد تخرجي، وتململهم من طول سنوات الدراسة بين الحصول على البكالوريوس، ثم الماجستير، ثم الدكتوراه، وهي أمور لم يكونوا على دراية بها، كان هذا كله يجعلني مطالبًا طوال الوقت بأن أشرح أمورًا لأناس بعيدين عنها، وعن الهدف منها، وبالتالي عن تقديرها. أيضًا آخرون كانوا يعلقون دائمًا على مواصلة التحاقي بالجامعة بعد دراسة الماجستير بأنني أجري وراء شيء لا قيمة له، ولن يمثل لي إضافة، وأن وضعي في المدرسة كما هو لم يتحسن بعد دراسة الماجستير، فلم أزل معلمًا، مثلي مثل من لم يحصلوا

على الماجستير. وكان السبيل الوحيد إلى تحاشي هذه التعليقات؛ حتى لا تحبطني، محاولة تجنبهم قدر الإمكان، والبعد عن مجالسهم. لكنني ما إن أعود إلى الجامعة، حيث العمل على البحث، وقضاء وقت طويل وماتع في أجنحة المكتبات الجامعية، والمكتبات العامة؛ للاطلاع والبحث ومصاحبة الزملاء، وملازمة الأكاديميين، وكنت من الطلبة القليلين الذين تربطهم علاقة مع أساتذتهم، هذا كله كان يعزيني في أحاديث الإحباط، والأسئلة التي لا يدرك أصحابها أنها تمثل ضغطًا نفسيًا على إنسان لديه ما يكفيه من الضغوط. أيضًا بعض رسائل الإحباط، كانت أشبه ما تكون بجسم ثقيل سقط على جسدك، وعليك أن تقاوم بقوة للتعافي من الأضرار التي قد يخلفها هذا السقوط وتأثيرها البالغ على عزيمتك، ولعل وصفي لهذه الرسائل بالأجسام الثقيلة؛ لأنها تكون، مع الأسف، من أشخاص مقربين، كنت تتوقع منهم أن يكونوا معينين لك ودافعين ومحفزين، لكن الضربة تأتيك من قبلهم، فيكون ألمها مضاعفًا، مثل صديق قريب، أكن له كل تقدير ومودة،

لكن نظرته للأمور كان ينقصها بعض التفاؤل، عندما أخبرته بأنني عازم على إكمال دراستي العلمية قال لي: أنت غير كفء للدراسة، ولن تفلح».

ويعلق الدكتور سند على عبارة الصديق بالقول: «عبارة مريرة من أقرب شخص لنفسك.. ذهلت لدى سماعها، وظللت مذهولاً عدة أيام، كانت أشبه بضربة، أعترف بأنني وقعت على أثرها، فعلى أحدنا أن يراجع نفسه في آراء المقربين منه، فآراء أقرب الناس إلينا، علينا أن نأخذها على محمل الجد، لكنني تمكنت بفضل الله من تجاوز هذا الرأي الصادم، ولم أتجاوزه وحسب، بل اتخذت منه درسًا كبيرًا في الحياة، وخرجت منه بحكمة بالغة، مفادها أنك أفضل ناصح لنفسك في هذه الحياة، لأنك أكثر إنسان يعرفك، ويعرف ماذا تريد، وما الذي تقدر عليه، وما الذي لا تقدر عليه.»

❀ ❀ ❀

ولم تقتصر العوائق التي واجهها الدكتور سند السبيعي في طريق رحلته نحو لقب الدكتوراه

على التوفيق بين العمل والدراسة والأسرة، أو تجاوز مسببات الإحباط، وحسب، بل انضمت إليها الظروف الطبيعية أيضًا، حين تعرض لحادث مروري مروع كاد يفقد فيه حياته، يقول: «كان لطف ربي كبيرًا؛ فقد أصبت بكسور بالوجه، وكدمات بالعين، نُوَّمت بالمستشفى عدة أسابيع ، ثم أُلزمت بالراحة في المنزل قرابة شهر، لكن أحد الزملاءَ الأكارم اتصل ليطمئن على حالتي، ويشد من أزري، وينتزعني من الإحباط الذي خلفه لي الحادث الذي أبعدني عن دراسة الماجستير، حينها، وتعهد لي بأنه سوف يزودني بالمقررات، ويعتذر للأساتذة عن عدم حضوري بسبب الحادث، وسيبقى هذا المعروف دينًا في رقبتي لهذا الصديق ما حييت. هكذا في أحلك الأوقات كان بصيص الأمل يشرق داخلي دائمًا بفضل الله، وفي هذه المرة الأخيرة التي لم يكن بوسع أي شيء داخلي أن يشرق وأنا ملازم الفراش بعد حادث كدت أفقد فيه حياتي، جاء نور الأمل من الخارج، بيد هذا الصديق الشهم».

❀ ❀ ❀

لكن بعض العقبات الخارجة عن إرادة الدكتور سند السبيعي، لم يتجاوزها بالتحمل والقدرة على العمل، ولا بالصبر والجلد، الصفات التي أتى بها من طفولته الشاقة بين الشرقية والخرمة والبادية، بل تخطاها مستلهمًا نماذج من كائنات الصحراء التي عاش بينها، وراقب فيها القدرة على التكيف مع ظروف الحياة مهما كانت غير مواتية، وهذا ما يدخل علميًا، تحت مصطلح «التكيف الطبيعي»، يقول الدكتور سند الذي بنى خطته كلها في الدراسة ما قبل الجامعية على الالتحاق بكلية الطب: «بعد تخرجي من الثانوية العامة تقدمت لعدة جامعات، ولم يحالفني الحظ في القبول بأي منها، لقلة الأعداد المطلوبة آنذاك لدراسة الطب، كان الأمر صادمًا بالنسبة لي، فما كان مني إلا أن قابلت هذا برضا تام، وبتسليم بإرادة الله، وتعهدت فيما بيني وبين نفسي بأن أواصل الرحلة وأحقق نجاحًا كبيرًا في أي تخصص ألتحق به، وجاءني قبول بكلية العلوم الطبية، وكانت هذه المرة الأولى في حياتي التي أسمع فيها عن هذه

الكلية، لكنني قبلت بالالتحاق بها على أمل أن تكون جسرًا، ومعبرًا للتحويل إلى كلية الطب، لكنني نظرت إلى البعيد فوجدت أنني سأكون قصة تروى بين الأهل والناس في مجتمع الخرمة، ففوق سنوات الطب الطويلة، هناك سنوات إضافية سأمضيها في هذه الكلية، وسيلتحق أقراني مبكرًا بالوظائف الحكومية، وأنا طالب لم أحصل بعد على درجة البكالوريوس. كان الأمر يحتاج إلى دفعة تشجيع قوية لأقدم على شيء كهذا، لكن جميع الزملاء المقربين كانوا ضده تمامًا، ما جعلني أقبل بخيار التحول إلى كلية التربية، وأتخصص في علم الأحياء».

❀ ❀ ❀

ولم يكتف سند السبيعي باجتياز عوائق الرحلة الكثيرة ومسببات إحباطها التي أعانته عليها التدريبات الشاقة والدروس التي أتى بها من رحلة الطفولة الصعبة ومن البادية، بل أخذ يقدم الدعم والعون للآخرين، ويأخذ بأيدي المتعثرين من الأصدقاء والزملاء، يقول:

«من المواقف التي لا أنساها أن أحد الأصدقاء كان قد قُبل في الماجستير، لكنه تعرض لمضايقة من بعض أعضاء هيئة التدريس، إلى حد أنه فكر جديًا في الانسحاب من الدراسة، لكنني حُلت دون ذلك، وحذرته بقوة من التخلي عن حلمه، أو السماح لأحدهم بأن يضع نهاية لرحلة اختارها هو لنفسه، فقلت له إنه في عنق الزجاجة، ولا ينقصه إلا قدر من الصبر لفترة قصيرة، وبعدها يكون حسن العاقبة، ويفوز بمراده، وهذا ما حدث بالفعل، بعدما أعانني الله على إثناء الزميل عما عزم عليه، وحصل على الماجستير ولله الحمد، وتواصل معي لاحقاً وقال: موقفك معي لا أنساه أبدًا مادمت حيًّا.»

هكذا، تحولت الصعوبات الجديدة التي اجتازها الدكتور سند السبيعي، مستعينًا بالصلابة التي أكسبته إياها صعوبات الماضي، إلى أسباب قوة جديدة، وخبرات حياة جديدة منحته قوة إضافية، وثقة فوق الثقة التي أتى بها من البادية، فلم تعد أي مسببات للإحباط قادرة على ثنيه عن عزمه، أو تحويله عن

طريقه، أو قطع رحلته، الرحلة التي استحق عنها رسائل وصلته من بعض زملائه للتهنئة بحصوله على الدكتوراه، يعدها الدكتور سند أوسمة شرف يعتز بها بعد الوصول إلى المحطة بالغة الأهمية باهظة الثمن في طريق رحلة كفاحه، فأحد زملائه وصفه بقوله: «أنت قدوة لنا في الإصرار والتميز.. ليت الظروف تتاح لنا أو نجد فرصة مثلك.»، وآخر كتب إليه: «ليتني أصل إلى ما وصلتَ له، فأنت مكسب وطني وشخصي وعلمي».

# رحلة مع مرتبة الشرف

# رحلة مع مرتبة الشرف

تركز دول العالم الأول اليوم، وكثير من الدول المتطلعة إلى بناء مستقبل رحب لأجيالها، ومنها بلادنا، على الاكتشاف المبكر للمواهب الوطنية؛ لرعايتها في سن صغيرة، وتسريع نموها العقلي والعلمي وتوجيهها التوجيه الذي ينمي هذه المواهب، ويخدم الأهداف الوطنية الكبرى التي تقوم على عوائد الاستثمار في هذه المواهب، تحت مظلة ما يسمى اقتصاد المعرفة، فكثير من الدول التي يشار إليها بالبنان في العالم اليوم لا نعرف لها موارد بعينها يمكن القول بأنها سر

تفوقها إلا عقولها، ولا نعرف لها استثمارات أكبر من الاستثمار في هذه العقول.

يحدث هذا اليوم في بلادنا بقوة وبجلاء يتبدى لنا جميعًا في برامج رعاية الموهوبين التي تتكاتف في الاضطلاع بها منظومة كبرى من المؤسسات الوطنية والجهات الرسمية، ويمكننا القول إن أجيال اليوم محظوظة بما تلقاه من عناية ورعاية واكتشاف مبكر لمواهبها وقدراتها، لكن في أزمنة قديمة، كانت تشهد نشأة كل شيء، وبداية كل شيء، كان على الموهوب أن يقاتل من أجل تقديم موهبته، فضلاً عن أن ظروفه الاقتصادية قد لا تساعده لبلوغ شيء من هذا، في حين يكفي الطفل الموهوب اليوم أن يكون موهوبًا، وبعدها ستتكفل الجهات المعنية بالدولة بكل شيء، حتى بمهمة اكتشاف موهبته التي قد لا يعرفها هو شخصيًا، حتى يقال له أنت موهوب في هذا الأمر.

وإلى جانب الموهبة، والذكاء بأنواعه، ترتكز قدرة العقل البشري على الإبداع بالأساس على قدرته على التفكير النقدي، وهذا الأخير حجر الزاوية في

الاستفادة من أي موهبة أو عقل ذكي بحسب مقياس الذكاء، إذ تتمايز العقول بالأساس بقدر حظوظها من التفكير النقدي، أو التفكير الناقد [٨].

وقد بدت ملامح هذا التفكير مبكرًا في قصة حكاها الدكتور سند السبيعي ضمن سرد مسترسل لقصص لا ينساها من طفولته، وفق خطة أسئلتنا التي ترتكز على هذه المرحلة التي لاحظنا أنها بداية خيوط كثير من السمات، والتوجهات، والأحداث، بل وربما الغرائب، في الشخصيات التي يقع عليها اختيارنا، من دون أن يتوقف أمامها، أو يعيرها اهتمامًا، فقد عدها قصة طريفة لا أكثر، لكنها تعني الكثير في واقع البحث الأكاديمي، لما تحمله من امتلاكه قدرة لافتة على التفكير النقدي. يقول الدكتور سند: «عندما كنت في المرحلة الابتدائية أتذكر أننا دعينا إلى زواج أحد الأقارب بالطائف، فجاء ابن خالتي وركبنا معه متجهين لهذا

(٨) يعرَّف التفكير النقدي بأنه عملية تفكيرية مركبة عقلانية أو منطقية، يتم فيها إخضاع (فكرة) أو أكثر للتحقق والتقصي، وجمع وإقامة الأدلة والشواهد بموضوعية وتجرد على مدى صحتها، ومن ثم إصدار حكم بقبولها من عدمه، اعتماداً على معايير أو قيم معينة.

العرس بصحبة والدتي، رحمها الله، وخالتي وأبنائها على صالون، سيارة الرفاهية في ذاك الزمان. توقفنا في محطة للتزود بالوقود، وبعدها تحركنا لمواصلة المسير، فما هي إلا لحظات حتى أصاب سيارتنا ضعف في صوت المحرك، ثم توقفت فجأة، فأصابنا القلق والحيرة من هذا العطل. لم تكن توجد محال لإصلاح مثل هذا النوع من السيارات، فازداد الأمر سوءًا على الجميع ، فاقترحت على سائقنا، لحل هذه المشكلة، وقد لاحت لنا سيارة مقبلة من نوع سيارتنا نفسها، أن يوقف سائقها ويطلب المساعدة؛ لامتلاكه الخبرة فيها، وبالفعل استوقفناه ، ونظر في محرك سيارتنا، وأصلحها بيسر وواصلنا مسيرتنا وسط استغراب الجميع من أن يأتي الحل من طفل صغير».

هكذا تتبدى ملامح التفكير النقدي مبكرًا لدى الصغير سند السبيعي، في قدرته على الربط بين الأمور، والتوصل إلى حل للخروج من المشكلة، وتتبدى أيضًا في طموحه المبكر حين كان طفلاً صغيراً لأن يكون طيارًا، وهي أمنية تكشف عن رغبة مبكرة

أيضًا، في الاكتشاف والإقدام على الجديد والمختلف، فلم تكن الطائرة آنذاك وسيلة انتقال معتادة، لكن الصغير الذي ولد بقدرات التفكير النقدي، كان يفكر في غير المعتاد، فمن سمات التفكير النقدي أنه غير نمطي، وغير روتيني.

ولا نعد ما ذهبنا إليه من قبيل المبالغة في التأويل أو الاستنتاج، فجميع شواهد رحلة سند السبيعي التعليمية، تؤكد أنه من هذا النوع المهتم بإعمال العقل، القابل للتعلم، الشغوف بالدراسة والتفوق، المهتم بالبحث، الطامح إلى الدرجات والألقاب العلمية. ولا نحتاج إلى أكثر من سرد لهذه الشواهد، من دون أن نعلق عليها، ليتبدى لنا معدن أكاديمي ولد بجينات التفكير النقدي، وبالرغبة الجارفة في الذهاب في طريق العلم إلى آخره، الرغبة التي عبَّدت الطريق أمام قطار رحلته، وجعلته يواصل حتى المحطة الأخيرة، على الرغم من عدم مواتاة الظروف كثيرًا.

ولا نتحدث هنا عن ممارسة اعتيادية لطفل اجتذبته المدرسة فانكفأ على حفظ مقرراتها، بل نتحدث

عن عقل واعد كان مسكونًا برغبة مبكرة في التأمل والتفكير ورغبة في التعلم واستلهام التجارب لدى سند السبيعي الذي يقول: «كنت، مع بدء الإجازات الصيفية السنوية من المدرسة، أنتقل للإقامة عند والدي بالصحراء، أستمع إلى أحاديث كبارِ السن وقصصهم عنِ معاناتهم، وتعاملاتهم، وحِكَمهم، وأتأمل كيف يوفَّقون للرد على من يسألهم، فمجالسة الرجال تنقيح للأفكار، ومازلت أتعلم من غيري حتى الآن».

هكذا تتبدى لنا شواهد التفكير النقدي مبكرًا لدى طفل وجد ضالته في مجالس الكبار ليُعَرِّض عقله الصغير النشط لإشعاع حكمتها، ويزود مخزونه المعرفي من خبراتها وتجاربها، ويطور قدرته على التفكير. واللافت أنه يختم حديثه بأنه ما زال يتعلم من غيره حتى الآن، وهذه إحدى سمات العقل المزود بملكة التفكير النقدي، إذ تجد لديه الاستعداد الدائم للتفكير في أي طرح؛ على أمل العثور على جديد فيه، أو التوصل إلى حقيقة غير نمطية.

بهذا العقل النشط المتحفز للمعرفة والتفكير، الممتلئ بالرغبة في الاكتشاف، التحق سند السبيعي بابتدائية الظهران، يقول: « كان والدي حريصًا على دراستي لأنه محب للعلم، فكنت أراه يقرأ الكتابات والخطابات والقرآن الكريم، على الرغم من أنه لم يلتحق بالتعليم. وعندما التحقت بالمدرسة أحسست بالتميز. ولعل شعوري بالتميز عن غيري كان دافعًا وحافزًا لي للاجتهاد في المدرسة، ولاسيما أن الذين كانوا يتعلمون، آنذاك، قلة. كنت أحب القراءة على وجه الخصوص؛ لأن والدي كان يعلمني الحروف من كتاب الهجاء، وجزء عم من المصحف، وكنت متفوقاً عند مدرس القراءة. أيضًا، كنت أحب أن أجلس في الصفوف الأمامية، وقد ظل هذا مكاني الدائم في جميع مراحلي الدراسية، جانب من هذا كان يعود إلى رغبتي الشخصية بالطبع ، لكنها كانت رغبة مشتركة بيني وبين المعلمين وإدارات المدارس التي تنقلت بينها، إذا كان أغلب المعلمين يحرصون على أن أكون بالمقدمة.. كان هذا الترتيب المعتاد في الصفوف

آنذاك، الطلاب المتميزون في الصفوف الأولى، بينما الصفوف المتأخرة للأقل تركيزاً واهتماماً. ومن الواضح أن هذه كانت رغبة الطلاب قليلي الاهتمام أو التركيز، فالجلوس في الصفوف الأمامية يعني أنهم في مواجهة خطر الأسئلة مباشرة، وهذا يعني أنهم سيكونون عرضة للعقاب، أو التهكم من قبل المعلم، فكانوا يعدون الجلوس في الخلف نوعًا من الاختباء والتواري عن نظر المعلم الذي كان بطبيعة الحال يركز مع الطلاب الذين يستجيبون معه، فضلاً عن أنهم يشرفونه أمام الزوار».

فقط كبوة وحيدة، لم ينسها الجواد سند السبيعي، يوم نجح بعض زملاء دراسته في المرحلة الثانوية في إقناعه بتسلق جدار المدرسة والهروب إلى الخارج، وهو فعل لم يكن يشبهه بكل تأكيد، لكن بعض الأخطاء يكون نافعًا للتحصين ضد الأخطاء الأخرى من نوعه في المستقبل، يقول: «لم يكن الهرب من المدرسة من عاداتي بالطبع، فلم يكن لدي من الأسباب ما يجعلني أقدم على شيء مثل هذا، لكن ربما مجاملة

للزملاء أقدمت على الهرب، وعندما وصل الخبر لأحد المدرسين، انتقد تصرفي وقال: «حتى سند خرق الجدار؟!!».. تألمت كثيرًا حين سمعت هذه الجملة، فقد كانت تعكس ما أتمتع به من ثقة لدى معلمي، وحزنت لأنني خرقت هذه الثقة، ولليوم لم يزل هذا الدرس حاضرًا في ذهني لم يفارقني، وقد تعلمت منه ألا أهرب أبدًا، ولا أخرق نظامًا، وأن أبقى عند ثقة المحيطين بي».

واصل سند مسيرة تفوقه في مدرسة الخرمة الابتدائية التي انتقل إليها بصحبة العائلة، وهو في الصف الرابع الابتدائي، يقول: «كان وكيلها تربطه علاقة ودية بوالدي فأوصاه أبي بمتابعتي؛ ما منحني شعورًا بالاطمئنان، إذ كان حدثًا كبيرًا أن يعرفك وكيل المدرسة، كما كان مصدر افتخار لي بين الطلاب، لكنني كنت أدرك تمامًا أنه ليس اطمئنانًا ولا فخرًا مجانيًا، وأنه علي أن أدفع ثمنه مذاكرةً واجتهادًا؛ حتى لا أحرج أبي، وبالفعل واصلت سيرة تميزي وتفوقي التي أتيت بها من مدرسة الظهران الابتدائية، وبدأت قصص

نجاح جديدة، يحضرني منها أن معلم اللغة العربية كان متحمسًا في شرحه، وكنت بالصفوف الأمامية، مكاني المعتاد كما أشرت سابقًا، أتابع معه، وحدث أنه من فرط حماس المعلم أن أخطأ أحد الطلاب فضربني أنا بالخطأ، ثم بعدما ضربني أخذ ينظر إلى بشيء من الندم، بعدما أدرك أنه تجاوز في حق الطالب الأول في حفظ النصوص الأدبية، والقراءة، نعم لم يعتذر لي، فلم يكن من سلوكًا معتادًا آنذاك، أن يعتذر معلم لطالب، لكن نظرة الندم في عيني معلمي قالت كل شيء، وأنا غفرت».

ويضيف الدكتور سند: «الحديث بالنظرات هذا تواصل مع معلمي، وكنت أفهمه تمامًا، وأشعر معه بمكانة خاصة لي عنده، فكان كلما يشرح درسه ينظر إلي ليتأكد من فهمي للدرس، كأنه يراهن علي من دون بقية زملائي، وكان ينظر لي بعطف دائمًا، وكأنه يقول لي: «ليت أبنائي في مثل أدبك»، ومن المواقف التي لا أنساها موقف لمدرس المحفوظات، إذ كان ابنه معنا بالصف، وقد ذكر لي ابنه بعد وفاة والده بأنه، رحمه

الله، قد أوصاه بملازمتي؛ لتميزي العلمي والخلقي، وقد أثر في هذا كثيرًا.»

ومع انتقاله إلى المرحلة المتوسطة في متوسطة الخرمة، انتقل الصغير سند إلى مرحلة جديدة، بدأت تتكشف فيها مواهب جديدة لديه، وبدأ يعيش قصصًا جديدة، أكثر نضجًا، وأكثر اسفزازًا لمواهبه وملكاته وطاقاته، مثل تمثيل فصله في المسابقة العلمية بين الفصول، وتكليفه بإعداد اللوحات الجدارية لمادة العلوم، وعلاقته الجيدة مع المعلمين في المدرسة، وثقتهم به ومعاملتهم إياه معاملة خاصة، حتى إن إحدى مهامه تمثلت في إحضار العصا للمعلم لعقاب الآخرين، من دون أن تطوله بالطبع. نعم حظي في هذه المرحلة التي واصل فيها مسيرته طالبًا متميزًا خلقًا، وعلمًا، وقدوةً ومضرب مثل لزملائه، بهدية قيمة تمثلت في قلم باركر، وكان هدية بالغة التفرد، آنذاك، من النادر أن يشتريها أحد أو يقتنيها، لكن ظلت أقرب هدية إلى قلبه، عبارة معلم اللغة الإنجليزية لأحد أقرانه في الصف: «كن مثل هذا البدوي».

ومع اكتمال الصغير سند السبيعي، وبلوغه طور اليفاع في المرحلة الثانوية، كانت علاقته بالعلم تجاوزت الكتب المدرسية والمناهج التي بدأت علاقته بها تتطور، حين أدرك أنها سبيله إلى كلية الطب التي حلم بها، ليحقق اللقب الذي شُغف به، فأخذ يطور علاقته بالقراءة في ثانوية الخرمة التي اختفى فيها كثير من الوجوه حوله، بعد انصراف الطلاب إلى العمل في الزراعة والرعي، في زمن لم يكن التعليم فيه يحظى بالاهتمام الكافي من الطلبة أو من أولياء أمورهم، فقط كان الشغوفون بالعلم، أمثال سند السبيعي لديهم الرغبة في الوصول إلى أحلامهم التي أشاروا إليها، وقد أشار الشاب سند إلى حلم الطب، إلى حمل لقب «دكتور»، وفي سبيل هذا اللقب كان يفعل كل شيء يوسع مداركه، ويتعمق في القراءة، بين كتب ومجلات. يقول: «شغفت بالقراءة والاطلاع، فكنت أشترى بعض المجلات والكتب، حتى إنني كنت مرجعًا ومستشارًا لبعض الزملاء في المسائل وحل الواجبات والمذاكرة. نعم كنت أجد صعوبة بالغة في

الحصول على المجلات، لكنني كنت أحصل على قصاصات منها، ثم احتفظ بها، أيضًا الكتب شغفت بجمعها والاحتفاظ بها، فكنت حين أجد كتابًا مدرسيًّا من غير مقرري الدراسي ملقىً بالشارع أو عند أحد الزملاء والأصدقاء أحتفظ به. كنت أقرأ أي شيء أجده في طريقي، وأرى الكتب كنزًا ينبغي الاحتفاظ به. وقد وجدت في المرحلة الثانوية ابن جيراننا وكان رفيقًا مميزًا. كنا نقضي الليالي معًا منكفئين على حل الواجبات المدرسية والمذاكرة معًا. كان كل منا عونًا للآخر، ما عزز مستوانا الدراسي كثيرًا، ويمكنني القول إن هذا كان أول عهدي بالعمل الجماعي ضمن فريق، وهذا ما أعدني لاحقًا للعمل ضمن فريق بحثي في الجامعة. أذكر أنه في أيام الاختبارات النهائية، كانت الفترة بين المقررين لا تقل عن ساعة تقريباً، فكنا نخرج معًا أنا وجاري بمفردنا من المدرسة ونجلس في السيارة لتناول الفطور ومراجعة الاختبار معًا، بعيداً عن الزملاء. كنا متوافقين، ولم تزل هذه إحدى أجمل ذكرياتي التي لا أنساها.»

ومن الملاحظ خلال مسيرة الدكتور سند السبيعي، أن علاقاته وارتباطاته الإنسانية، خارج نطاق العائلة، كان القاسم المشترك فيها كلها الدراسة، فظل أقرب أصدقائه، أولئك الذين جمعته بهم سنوات الدراسة، والعمل البحثي، كأنه اتخذ من الدراسة والعلم عالمًا له، يقترب من أحدهم أو يبتعد، بقدر ارتباطه بهذا العالم.

وكان هذا واضحًا للجميع، أن الطالب سند السبيعي يعرف طريقه جيدًا، فكان مدير المدرسة ومعه بعض المدرسين يقومون بالتفتيش على الطلبة قبل دخولهم للفصول في الامتحانات النهائية، وعندما كان الدور يأتي على سند لتفتيشه ويهم أحد المعلمين بذلك، ينظر إليه المدير ويقول: «اتركه.. هذا لا خوف عليه.»، هكذا كان سند السبيعي موضع ثقة الجميع؛ لما كان باديًا عليه من رغبة في التفوق، والتزام وجدية في واجبات المدرسية، والتزام أخلاقي في المقام الأول.

كان سند السبيعي طالبًا قلقًا مشغولاً بحلمه، بأمنيته التي تعلق بها. نعم كان يجتهد كثيرًا، لكن قلقه كان كبيرًا من ألا يوفق في تحقيقها، أو أن يلتحق بدراسة

الطب فلا يوفق فيها، فلم يكن مستعداً للفشل، ولن يقبل به على أي حال، ولم يكن في أسرته من سبقه إلى هذا الحلم ليسترشد برأيه؛ ما دفع به إلى التوجه بحيرته إلى معلم مادة الفيزياء آنذاك، وسؤاله عن رأيه بدراسة الطب، «هل هي صعبة؟»، يقول الدكتور سند: «جاءتني إجابة بسيطة كأنها بلسم شاف، دفعتني إلى مواصلة طريقي بثقة وتحقيق طموحي، إذ قال لي معلمي: يا بني، أي علم درسه أحد من قبل واجتازه اعتبره سهلاً، أما العلم الذي لم يدرسه أحد من قبل فأنا معك في أنه قد يكون صعبًا.»

كانت إجابة المعلم مطمئنة، وتحمل برهانها، حين قال له: «انظر إلى من سبقوك من خريجي الطب، ما الذي ينقصك حتى تكون مثلهم.؟». هكذا اطمأن سند، وبدأ البحث عن كلية طب يتقدم إليها بعد حصوله على تقديرات مرتفعة في الثانوية العامة، لكن الرياح أتت بما لم تشتهه سفينته، فلم يحالفه الحظ لقلة الأعداد المطلوبة لدراسة الطب، آنذاك، فالتحق بكلية العلوم الطبية، على أمل التحويل لاحقًا منها إلى الطب، لكنه

أدرك أن هذه طريق طويلة، ورهان غير مضمون، فانتهى به المطاف في كلية التربية حيث تخصص في علم الأحياء.

هكذا وجد سند السبيعي نفسه في طريق مسدودة، بعيدًا عن حلمه الذي عاش يحلم به، واجتهد من أجله، فتبخر حلم لقب «الدكتور سند»، لكن الشاب الذي ولد بقدرات التفكير النقدي الكبيرة، اهتدى بالطريقة نفسها التي اهتدى بها إلى حيلة إصلاح السيارة في الطفولة، أن بوسعه إعادة توجيه دفة سفينة رحلته نحو اللقب، بل نحو تحقيق لقب أكبر من «الدكتور سند» الطبيب، لقب «الدكتور سند» عضو هيئة التدريس الجامعي. يقول: «كل تفكيري كان منصبًا على الطريقة التي أرفع بها رأس والدي. لم أكن مهتمًا بدراسة الطب في حد ذاتها، بقدر ما كنت مهتمًا بالحصول على لقب علمي مميز، يفخر ويعتز به والدي، بعد هذه السنوات من الشقاء من أجلنا. كنت أسمع عن عوائل من حولنا لديهم أبناء يدرسون الطب، فيقال «الدكتور فلان»، ويقال لأبيه «والد الدكتور فلان»، وكنت أرغب في

أن يسعد أبي بأن يكون لديه ابن يحمل لقب «دكتور» مثلهم، وإن كان لم يطلب هذا مني، إلا أنني وددت أن أقدم له هذه الهدية، ولعل هذا كان أحد أسباب حزني لاحقًا، إذ توفي، رحمه الله، وأنا أدرس الماجستير. كم كان هذا باعثًا على الأسى، أن يتوفى الرجل الذي فعلت هذا كله من أجله، لكن عزائي أنني أهديت إليه اللقب، ولو بعد وفاته، أسكنه ربي فسيح جنانه».

وجد سند السبيعي ضالته في قسم الأحياء بكلية التربية، وعن سر إعجابه بهذا القسم الذي لم يكن في حسبانه من الأساس لكنه ائتلف معه، يقول: «أحببت قسم الأحياء.. كيف لا وهو يتحدث بشكل موسع عن علم الحياة، وهو أساس لكل العلوم، فطلاب الكليات الصحية لا بد لهم من دراسة مقررات في الأحياء، فضلاً عن أنه أتاح لي فرصة للتأليف فيما بعد عن الحيوانات، وخصوصًا الإبل التي كنت أتعامل معها بالصحراء، فجمعت بين الخبرة والمشاهدة من جانب، وبين الإعجاز والعلم وما وصل إليه العلم الحديث عن هذه المخلوقات العجيبة من جانب آخر».

ولم يكن صعبًا على سند السبيعي الذي اجتذب تفكيره النقدي واهتمامه معلميه في مراحل التعليم العام، أو يكون له التأثير نفسه في التعليم الجامعي، فنجح الطالب الطموح ذو العقل النشط الشغوف بالمعرفة في اجتذاب أساتذته في الجامعة حين أدركوا أنه طالب مختلف، ومشروع عالم، يقول: «بعض الأساتذة الذين تلقيت العلوم على أيديهم كنت أتردد عليهم بالمكاتب للسؤال عن بعض المقررات واستشارتهم، فكونت علاقة ودية معهم، وبعضهم حتى الآن تربطني بهم علاقة تواصل ومودة وأصبح زميل مهنة فيما بعد. وقد زرت أحدهم بمنزله ودار بيننا حديث عن الدراسة بالخارج، وأعطاني أفلامًا عن مادة الأحياء، ومازالت علاقتي مستمرة معه حتى الآن، وبعد تخرجي في الجامعة دعوت أحدهم لوجبة عشاء، فلبى الدعوة وحضر بروح طيبة، ومازلنا نتبادل الزيارات معًا».

وإذا كانت هذه علاقة سند السبيعي طالب البكالوريوس بأساتذته، فمن البديهي أن تكون علاقته

كطالب الدراسات العليا أعمق، وأن يحصل على تقدير أرفع من أساتذته، فالعلم رحم بين العلماء، يقول: «كنت محظوظًا باحتضاني من قبل أساتذة متميزين، تحمسوا لي، ودعموني كثيرًا، ومنهم مشرفي بالدراسات العليا أ.د.فهد محمد الحميد فيما بعد، فقد أعطاني توصية علمية لمواصلة دراستي العليا، وبعد حصولي على الماجستير قال لي: الآن أنت زرعت، وباقي قطف الثمرة، ثم أكلها. بقيت خطوات بسيطة على الدكتوراه، وكنت عندما أتصل عليه للسلام، يسألني: هل تقدمت للدكتوراة؟ وهذا شجعني كثيرًا، فله مني الدعاء والوفاء مادمت حيًا، ومن الله الجزاء الأوفى».

❀ ❀ ❀

وحين جاء الدور على الطالب سند السبيعي؛ ليكون معلمًا في مدرسة، ظلت روح طالب المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية بشغفها وتطلعها للتعلم مسيطرة عليه، ووجد أخيرًا الفرصة لينمي داخل طلابه التفكير النقدي الذي نشأ عليه، تمكن بفضله من

اجتياز المراحل التعليمية بتفوق وامتياز، في أعوام عمله معلمًا، قبل الحصول على الدكتوراه والانتقال للتدريس في الجامعة، يقول: «وفقت، ولله الحمد، في عمل متحف للعلوم، فقد صممت أرفف دولاب خشبية مقسمة ما بين حيوانات محنطة ومحفوظة بالفورمالين، وبيئات المملكة الثلاث؛ الصحراوية، والجبلية، والساحلية، ودولاب آخر وضعت به عينات نباتية مع أسمائها وفوائدها، ومشتقات البترول، وأنواع من المعادن والصخور، فما إن يقف الطلاب أمام هذه الأرفف، حتى يعرفوا مفردات مقرر العلوم بطريقة سهلة ومشوقة، كما هو معمول به في بعض الجامعات العريقة، حتى إن هذه الأرفف أصبحت واجهة مميزة للمدرسة، بل للمنطقة، واستمرت هكذا لمدة تجاوزت ٢٠ عاماً.»

❋ ❋ ❋

هيمنت روح الطالب على سند السبيعي دائمًا، حتى بعد تخرجه في الجامعة، كان يستشير أساتذته لخبراتهم الطويلة؛ حتى يسترشد بآرائهم في مسيرته

العلمية. أدرك سند بتفكيره النقدي، أن الاستفادة من خبرات الأساتذة سيوفر عليه قطع طريق قطعوها هم قبله، وسيجنبه الوصول إلى طريق قد تكون مسدودة، أو يتبدد فيها جهده من دون طائل. يقول: «عندما أردت أن أتقدم للماجستير، قابلت أحد أساتذة الجامعة للاستشارة، والأخذ برأيه، فرحب بطموحي ومؤلفاتي، ثم نظر إلي وقال: أرى بعض البشر يتوسعون توسعًا أفقيًا، وهذا ليس له حدود، وتتشعب عليه الطرق، وبعضهم يتوسع رأسيًا، فتتراكم عنده المعرفة والخبرات، فأرى أن تتوسع رأسيًا في تخصص تحبه ولديك شغف به، فيكون عملك وجهدك تحت مظلة أكاديمية؛ ما يكون له قبول أكثر عند المجتمع، وتحصل على مؤهل علمي يحفظ حقوقك وجهدك المميز».

ويضيف الدكتور سند: «في بحث التخرج التكميلي حاولت الجمع بين تخصص البيئة، والإبل التي أعشقها، ووالدي، فنال بحث التخرج الإعجاب من مشرفي ولجنة المناقشة، وكذلك المشرف العام على العلوم البيئية، فنشرت بحثي في مجلة علمية

رصينة، وبذلك أعد من أوائل الطلبة الذين نشروا بحث تخرجهم في مجلات علمية محكمة، فأخذت جزءًا من وقتي لجمع العينات النباتية وتحليلها ومدى أهميتها البيئية والرعوية للإبل، محاولاً التوفيق بين العمل والأسرة والبحث. نعم كنت أريد أن يكون البحث مهدى إلى أبي والبادية التي أحبها وتعلق بها وأمضى حياته بينها.»

وكأن الأقدار كانت تحمل لسند السبيعي رسالة جزاء وفائه لأبيه، واختياره رسالة ماجستير مستلهمة من ذكرياته معه في البادية، إذا كان على موعد مع فرحة إضافية يوم حصوله الماجستير بتفوق مع تزكية من أساتذته لمواصلة الدكتوراه، بولادة تركي، مولوده الأول. ولم ينس الدكتور سند دائمًا، الاعتراف لشريكة رحلته التي حملت معه هموم دراسة الماجستير والدكتوراه، بما رافقهما من ضغوط فوق العادة، لكن يبقى وصول تركي إلى العالم في اليوم نفسه الذي حصل فيه على الماجستير الفخم، جائزة من رب كريم للزوج والزوجة المكافحين المترابطين.

❀ ❀ ❀

ثم بدأت رحلة الدكتوراه، التي كانت تعني اقتراب سند السبيعي من اللقب الحلم الذي أصبح على بعد سنوات معدودات، وقد اختار رسالة الدكتوراه في البيئة النباتية والتقنية الجزيئية. يقول: «في دراساتي العليا كنت أسعى دائمًا للجمع بين البيئة والإبل ما أمكن؛ لأن الإبل عشقي ولم تأخذ نصيبها الكافي والشامل الذي تستحقه من البحث والتأليف. فبعد حصولي على الماجستير، حاولت مع مشرفي أن يكون بحث الدكتوراه امتدادًا له، وأن يكون في نفود الربع الخالي، فحددت المشكلة والعينة، لكن صعوبة المنطقة وخطورتها، واحتياجها لإمكانيات متكاملة ومتعددة وسط متاهات، ما بين نفود وكثبان رملية شاهقة، جعلتنا نتوقف. وفي الوقت نفسه ظهرت بوادر علم التقنية الجزيئية، فاتفقت مع مشرفي على أن أبحث في هذه التقنية الواعدة التي لم تدرس بشكل كاف، فأكون من أوائل من يحققون تميزًا علميًا في التقنية الجزيئية، وهذا ما كان بحصول الطالب سند بن مطلق بن فارس

السبيعي على درجة الدكتوراه في التقنية الجزيئية من جامعة الملك سعود».

وكعادته انطلق الدكتور سند الشغوف بالتعلم، والتعليم، ونقل الخبرات، فبعد حصوله على الدكتوراه، بدأ على الفور تكوين فريق عمل للمساهمة في النشر العلمي، وتدريب أجيال الوطن على الأجهزة الحديثة في مجال تخصصه، الأجهزة التي عمل عليها في الدكتوراه، كما أنه سعى لتأسيس جمعيات علمية والمشاركة في عضويتها مع أساتذة في التخصص نفسه.

هكذا، عاد حُـلم تـشتت في مفازات الحياة، لكن فضل الله كان عظيمًا فتحقق حلم الشاب الطموح، وحمل لقب «دكتور»، بعد قرابة أكثر من ٢٢ عامًا، منذ بدء رحلته نحو اللقب.

❀ ❀ ❀

ولم تكن رحلة الالتحاق بعضوية هيئة التدريس بإحدى الجامعات بأقل غرابة مما سبقها من مراحل،

يقول د. سند: «بعد حصولي على الدكتوراه بتميز، تقدمت إلى إحدى الجامعات المعروفة، وبعد سنة من التقديم لم يأتِ الرد من تلك الجامعة، فحملت حقيبتي ومضيت مَن دون أن أفقد إيماني بالله، وأملي في الغد، وبعد فترة من الزمن جاءتني البشرى بقبولي من ثلاث جامعات مختلفة بالمنطقة الوسطى والشمالية والجنوبية، فاخترت المنطقة الوسطى لأستمر في مسيرتي العلمية، وبالفعل بدأت أسهم في تشييد البناء العلمي لأبناء الوطن، حتى حصلت على جائزة التميز العلمي والبحثي في مجال تخصصي الذي أعشقه. وأعد هذه الجائزة تتويجًا لرحلة عشق قديمة، بدأت هناك في البادية، في كنف الوالد والوالدة، رحمهما الله، فالأمر يتجاوز الجانب العلمي إلى الإنساني والوجداني بالنسبة إليّ، فمسيرتي العلمية لم تنفصل يومًا عن قصة عشقي القديمة، عشقي للبادية وكائناتها، وعشقي لأهلها، وعلى رأسهم تاج رأسي الوالد طيب الله ثراه، الذي أردد في حبه هذا البيت:

**واسأل ربنا المولى وفي الأسحار ابتهل**

**بأن ألقــاك في فـرح بـدار مابها مـلـل**

ومن الطرائف الدراماتيكية التي رافقت رحلة الدكتور سند السبيعي، أنه بعد سنوات، وجهت له الجامعة التي رفضت قبوله عضوًا بهيئة تدريسها، دعوة رسمية لمناقشة رسالة ماجستير فيها بوصفه ممتحنًا خارجيًا، وفي العام نفسه وجهت له دعوة أخرى رسمية ليكون مستشارًا في تحكيم البرامج الأكاديمية في مجال تخصصه الحيوي، ثم بعد عامين تقريباً جاءه اتصال من عمادة البحث العلمي لتحكيم مشاريع بحثية علمية للجامعة، وإقرارها لعدة أعوامٍ متتالية. حتى إن أحد أساتذة هذه الجامعة مازحه قائلاً: «من الغرابة د. سند استبعادك ورفض تعيينك من هذه الجامعة، ثم استدعاؤك للأخذ برأيك ومشورتك».

يقول الدكتور سند: «الحياة لا تتوقف عن إرسال رسائلها للإنسان، والرسالة هنا كانت تتعلق بأنه ليس على أحدنا أن يتضجر من أقدار الله، ولا ينال منه

اليأس، فقط عليه أن يعمل بجد واجتهاد ويثبت ذاته، حينها سيبحث عنه الجميع، حتى أولئك الذين لم يعرفوا قيمته في يوم من الأيام.. عملك أكبر متحدث رسمي باسمك. لكن الموقف الذي أدهشني حقًا، يوم وقع علي الاختيار ورُشحت مناقشاً خارجياً لرسالة دكتوراه، لأحد الباحثين في الجامعة التي تخرجت فيها، وكان المقرر والمشرف على ذلك الباحث هو نفسه الذي أشرف على رسالتي للدكتوراه، كما كان بقية أعضاء لجنة المناقشة ممن حضروا جلسة مناقشتي في الدكتوراه الخاصة بي وكنت أجيب عن أسئلتهم. لقد أثار وجودي بينهم في ذلك اليوم شعورًا غريبًا بداخلي، فبالأمس القريب كنت أجلس أمامهم باحثًا يرد على أسئلتهم، وتعتريه حالة توجس وقلق بشأن ما قد يسألونه عنه، واليوم، بفضل الله، أجدني جالسًا بينهم ومعهم، مناقشاً خارجياً، بما يحمله لقب (مناقش خارجي) وما له من اعتبار أكاديمي رفيع، فسبحت حمداً وشكرًا لله، وشعرت بفخر بنيل ثقة مشرفي واختياره لي من بين طلابه، كأنه أب يعتز

بما حققه أحد أبنائه، ورأيت في اختياره لي اعترافاً ضمنيا منه لي بالتميز».

❀ ❀ ❀

وقد يظن ظان أن سفر الأحلام قد وصل بمحب العلم وطالبه القديم سند السبيعي إلى محطته الأخيرة، لكن واقع الأمر أن ابن بادية الخرمة لا نهاية لأحلامه، وإن كانت أحلامه هذه المرة لمستقبل الثروة الحيوانية في وطنه، أحلام لبلاده ومواطنيها، يقول: «الحمد لله، من الأحلام التي تحققت، وما زلت أطمح في تحقيق المزيد منها، تمثيل وطني الغالي في المحافل العلمية، والإسهام مع الجهات العلمية والوطنية للتطوير والبناء والاستثمار في عقول أبناء وطننا المعطاء، أيضًا نتطلع بكل شغف وطموح بإنشاء مركز الملك سلمان لأبحاث الإبل، وقد طرحت فكرته في برنامج «ليالي الصياد» الذي يبث من أرض مهرجان الملك عبدالعزيز لمزاين الإبل، لتعظيم الاستفادة من الإبل، كنزنا الثقافي ورمز أصالتنا وحضارتنا العريقة والدفع بها لتكون موضوع

أبحاث عالمية في منتوجاتها القيمة الغذائية والاقتصادية والطبية. كما نتطلع بالعزيمة والهمة في هذا البلد المعطاء إلى الاستثمار في مخلفات البيئة المختلفة؛ ما يمثل رافدًا اقتصاديًا بيئيًا واعدًا ومشجعًا للاستثمار فيه، وهو ما يعرف بالاقتصاد الدائري الذي تسعي إليه معظم الدول؛ ما يوفر فرصًا استثمارية للأجيال المقبلة، ومواردًا اقتصاديًا مهمًا وقويًا. أيضًا أتطلع لأن يكون وطني في مقدمة مصاف الدول في امتلاك التقنية العلمية عبر إنشاء هيئة خاصة بالابتكار والاختراع، وهذا ما أسعى له شخصيًا في مجال تخصصي، وكذلك إنشاء عدة مراكز موزعة في مختلف المناطق للاحتفاظ ببذور النباتات البرية، تكون بمثابة (بنوك للبذور)، بوصفها موردًا بيئيًا مهمًا؛ ما يمكن من استخدامها في الصناعات الدوائية، وغيرها، وبالتالي يمثل رافدًا اقتصاديًا آن الأوان للاستفادة منه، ولاسيما أن بعضها قد انقرض، والآخر مهدد بالانقراض، فلعلنا ندرك ما بقي من تلك النباتات الحيوية والثروة الحقيقية لنا ولأجيالنا المقبلة».

# الحـادي والإبـل

# الحادي والإبل

يقينًا لا يرى البدوي الصحراء بعيوننا، لا ينظر إليها نظرة عابر ينتظر أن يقطع مسافاتها حتى يصل إلى وجهته، وهذا ببساطة لأن الصحراء وجهة البدوي، أرضه التي يسافر إليها، وحنينه الذي لا يفارقه، وعالمه الذي يتنقل به بين المدن.

يقينًا ترى عين ابن البادية ما لا نراه في الصحراء، وتسمع أذنه ما لا نسمعه، وتهتز جوارحه لمنظرها الذي يخلب عقله، ويملك عليه قلبه، فالصحراء أمه التي من رحمها ولد، وعلى رمالها خطى خطواته الأولى، وبين

كائناتها الوادعة أحس بالألفة والفرح، وارتبطت بها ذكرياته كأنها مكون من مكوناته الإنسانية التي تشكل شخصيته وهويته.

يقينًا لا ينظر البدوي إلى الإبل والأغنام نظرتنا إليها، إذ يرى فيها رمز عزه ورخائه وتراث قومه ورفاق طفولته البسيطة الصافية، كأنها صحراء مفتوحة لا غموض فيها، ولا شيء يختبئ له وراءها. حتى المخاطر واضحة في حياة البدوي لا خفاء فيها، فالذئاب لا تلتبس عليه ولا تتلون له، لهذا تجد ابن البادية واضحًا كأنه صحراء تفتح لك ذراعيها لتعلن عن هويتها، فلا يخفي عنك شيئًا، ولا يتلون عليك، حَمَلٌ في لين قلبه، وجَمَلٌ في صبره واحتماله، صفحةُ رمال ممتدة في وضوحه، ورياحٌ عاتية في غضبه.

ولأن الصحراء لا تفاصيل كثيرة فيها تشغل الناس عن إنسانيتهم، فقد شغف أهلها بالشعر ومقولات الحكمة، وحكايات التاريخ، لذا تجد ابن الصحراء ملهمًا بالشعر، ومستمعاً لقصص الآباء والأجداد، وتجده مجبولاً على التأمل والإصغاء لعالمه الصامت

الذي لا صخب فيه، كما تجده قوي الحافظة؛ ليتكيف مع هذه الحياة التي يعيش أهلها معظم أوقاتهم الخالية من المشاهد البصرية الكثيرة، يستدعون آدابهم وقصص آبائهم وبطولاتهم وأيامهم وخرائط أنسابهم، ومخزونهم الطبي الفطري القائم على خزانة دواء الطبيعة التي ولدوا فيها، وتعلموا فوائد أشجارها وأعشابها.

ويمكننا القول إن الصحراء كانت مسرح قصة حياة المؤلَّف عنه الدكتور سند بن مطلق بن فارس السبيعي، ابن البادية الذي يحمل واحدًا من الأسماء الدارجة والمحببة إلى أهلها، فكل أب يحلم بأن يكون ابنه سندًا له في مقابل عوادي الأيام. وبالفعل، فإن ما استعرضناه من رحلة الدكتور سند، وما بقي من هذه الرحلة، يكشف لنا عن أن اسم الابن كان على مسمى بالفعل، وكما قالت العرب «لكل امرئ من اسمه نصيب»، وهذا ما تؤكده جميع شواهد رحلة الابن «سند» التي كانت جميع محطاتها مرتبطة بالبحث عن أبيه منذ كان يتركهم في المنطقة الشرقية ليذهب

في أسفار عمله أو رحلات بر رحمه في الخرمة، ثم بحثه عن أبيه في البادية حين عادوا إلى مدينتهم الأم، حتى أصبح بالفعل برفقته، ومن القصص التي تجسد هذا الحنان القديم من الصغير «سند» على أبيه، قصة بسيطة التفاصيل، عميقة الدلالة، يقول الدكتور سند: «عندما كنت طفلاً في المرحلة الابتدائية، كنت أدخر شيئًا من وجبتي المدرسية لأعطيها لأبي، فأرى السرور يشع من وجهه الطاهر، والابتسامة تعلو محياه، موقف لن أنساه على الرغم من مرور السنوات الطوال».

بالطبع موقف لا ينسى، ولا يمكننا أن نمر عليه هنا مرور الكرام، فالمعتاد أن يعود الصغار بما يتبقى من وجباتهم المدرسية ليوزعوها على إخوتهم الصغار، وليس على آبائهم، فقد درجنا جميعًا على أن الآباء وجهة للأخذ، ولاسيما في تلك السن الصغيرة، لا للعطاء، لكن من الواضح أن الصغير «سند»، بدأ رحلة تأكيد اسمه مبكرًا، كأنه لقب بطولة يحمله، ويسكنه هاجس الدفاع عنه في كل جولة من جولات الحياة.

ولم يأت هذا الارتباط من فراغ بأب فاض من حنانه على ابنه الصغير الذي اعتاد أن يعلمه القرآن الكريم منذ طفولته، ويراجع معه تلاوته، ويقيل عثرات لسانه في «جزء عم» وهو يرتل آياته بين يديه، وقد اعتاد أن يراقب والده كلما فاضت عيناه بالدمع حين يسمع من أحدهم تلاوة لسورة يوسف، حتى أصبحت سورة يوسف، كلما مرت عليه اليوم، بعد هذه السنوات الطويلة، تقفز إلى ذاكرته صورة وجه أبيه بعينيه المغرورقتين بالدموع من رحمة الله ولطفه بعبده ونبيه يوسف عليه السلام، وهي قصة لا يخفى على أحد ما فيها من آيات لطف الله وعنايته، وأيضًا من ارتباط نبي الله يعقوب بابنه يوسف، عليهما السلام، ووفاء نبي الله يوسف لوالده يعقوب، إلى آخر ما تنطوي عليه هذه القصة القرآنية العظيمة من قيم البر والوفاء والحنان بين أب وابنه.

هكذا ارتبط وجدان الصغير سند ارتباطًا وجوديًا بأبيه، وأدرك منذ الطفولة معنى اسمه «سند»، والمهام التي تتوجب عليه حتى يكون أهلاً لهذا الاسم، لكن

الصغير الذي قرر أن يكون عند حسن ظن أبيه، وأن يكون سندًا له، ذهب بعيدًا في رؤيته لهذا المفهوم، حين وجد من بر أبيه أن يبر كل شيء تعلقت به نفس أبيه، حتى الصحراء ببشرها وحجرها وإبلها وغنمها ونباتاتها.

يدهشك هذا الارتباط العجيب بين الدكتور سند والبادية، فلا تملك، في ضوء إدراكك للعلاقة العميقة والارتباط العضوي والوجودي بينه وبين والده، رحمه الله، إلا أن تجزم بأن والده يتمثل له في كل شيء في البادية، حتى إنه أصر على مدار رحلته العلمية أن يشملها كلها بعنايته العلمية، وأن يتخذ منها موضوعات لأبحاثه التي راوحت بين الاهتمام بالبيئة والغطاء النباتي والإبل، العشق المشترك بينه وبين أبيه، والسر المشترك بينهما أيضًا. الإبل، الكائنات التي أحبها الابن الصغير على حب أبيه، حين علم أن أباه كان يتركهم هو وإخوته بالأشهر من أجلها، وأنها جزء من التكوين النفسي لأبيه، فانخرط الصغير في إقامة رابطة قوية بينه وبين الإبل، حتى يضمن مشاركة أبيه هذا العشق.

هكذا تحول الصغير العاشق للبادية، مسرح قصة حبه ووفائه لأبيه، إلى «سند» للبادية كلها، وسفير يتحدث باسمها في المحافل، ويعيد تقديمها إلى الأوساط العلمية، في الداخل والخارج، فأبحر في علومها، وتعمق في تفاصيلها، واجتهد في إعادة اكتشافها، وأثرى عقله بعلومها، حتى إنه أصبح ظاهرة في ولعه وإلمامه وتعمقه وشغفه بكل ما يخص البادية وموجوداتها أو يرتبط بها من علوم ومعارف. ومن القصص التي تبين لنا إلى أين وصل به الشغف، قصة يرويها الدكتور سند للقاء جمعه بأكاديمي من خارج المملكة إبان مرحلة دراسته الماجستير، يقول: «دعيت من قبل مدير مركز أبحاث المراعي والإبل بالجوف إلى زيارة المركز، بحكم ذيوع أنباء اهتمامي بالإبل والبيئة النباتية، ومؤلفاتي المبكرة عن الإبل آنذاك، وكنت في هذه الزيارة بصحبة أكاديمي من بلادنا العربية. وصلنا إلى المركز، وأخذنا جولة بالمركز وأصغينا إلى شروحات عن أعماله ومهامه ومنجزاته وغيرها من الفعاليات المعتادة في مثل هذه الزيارات، وفي المساء

ذهبنا أنا والضيف المرافق في جولة على حظائر الإبل ودار بيننا حديث عن الإبل بوصفها ثروة حيوانية، وعن فوائدها الاقتصادية المتعددة، وكيف أنها مخزن غذائي استراتيجي لبلادنا قديماً وحديثًا، واسترسلت في سرد قصص قيمة عن الإبل قديمًا وحديثًا، وفي سرد معلومات عنها، وبينما نحن مستمتعتين بحديثنا عن الإبل وعجائبها، فجأة نظر إلي الضيف نظرة استغراب ثم صمت قليلاً، ثم قال: «يا سند عندي سؤال: من النادر أن أجد شاباً شغوفاً بالإبل في زمننا هذا؟! هل من أسرتك أو أحد أقاربك دكتور أو لديه مؤهل علمي عال؟»، وحين أبديت استغرابي من أسئلته العجيبة والمُباغتة قال لي جملته التي أتذكرها جيدًا كأنه يقولها الآن: «لم أجد شابًا سعوديًا مثلك يسأل ويحرص على المعرفة ولديه هذا الشغف بالعلم وحبه».

وهنا تجاوز سند السبيعي دوره سفيرًا للبادية وأهلها وموجوداتها في الأوساط العلمية، إلى دوره سفيرًا شعبيًا عن المملكة وأهلها؛ بتصحيحه مفهومًا خاطئًا لدى الضيف الزائر، وصورة ذهنية غير جيدة من

الواضح أنه اكتسبها من تجارب سابقة، قبل أن يلتقي سند السبيعي ابن البادية وسفيرها، وسفيرنا الشعبي، وفق مفاهيم علم الدبلوماسية الشعبية.

هكذا بدأت رحلة سند والده وقومه «وديرته» الدكتور سند ابن مطلق بن فارس السبيعي في تقديم دياره وموجوداتها، وفي مقدمتها «الإبل» رمزها وأيقونتها التي وقع عليها اختياره لتكون العنوان الرئيس لقائمة من أهم مؤلفاته التي بدأها مبكرًا، حتى قبل الحصول على الماجستير أو الدكتوراه، وعن هذا الاختيار المبكر للإبل على وجه الخصوص، والانجراف نحوها، يقول الدكتور سند: «بعد مدة اشترى والدي عددًا من الإبل، فكنت أتأمل هذا المخلوق العظيم؛ سيره، وعطاءه، وحنينه. فعندما يناديها والدي تقف وتلتفت وتأتي إليه بهدوء وخفة، وقبيل الفجر تجود علينا بألبانها في إناء كبير. طالت أوقات تأملي وتعجبي في هذا المخلوق العجيب في هذه الصحاري المترامية المهلكة، فهذه الناقة لصاحبها كالوطن، وكالأرض، وكالمطر، فهي رمز للصبر والوفاء والسفر الشاق».

هكذا يختزل الدكتور سند السبيعي علاقته بالإبل في كلمة واحدة «هذه الناقة لصاحبها كالوطن، وكالأرض، وكالمطر.»، وهكذا يفسر لنا سر الارتباط الوجودي بينه وبين الإبل التي لا يعرف قدرها مثل ابن البادية، ولا يدرك أسرارها مثله، ويتبدى لنا البون الكبير بين نظرة ابن البادية إلى الإبل، ونظرة غيره من الباحثين، في حوار جمعه بأحد الأكاديميين، يقول الدكتور سند: «تقدمت للجامعة لتعييني محاضرًا في مجال البيئة، بعد حصولي على الماجستير وتوجهي لنيل الدكتوراه، وشُكلت لجنة للمقابلة والمناقشة، وقدم رئيس اللجنة سيرة ونبذة عني وعن جهدي العلمي والبيئي، ثم أشار إلى أني ألفت كتابًا ومرجعًا شاملاً عن الإبل، فقال أحد أعضاء اللجنة، وهو أستاذ في البيئة، نصًا: «ما شاء الله.. مؤلف عن الإبل التي تدمر الغطاء النباتي بالذات؟.»، كانت جملة غريبة، وكان هجومًا في غير محله، فانتظرت حتى سُمح لي بالحديث، ونظرت إليه، وقلت: يا دكتور الإبل لا تدمر الغطاء النباتي، وخصوصاً في مواسم الربيع،

كالأغنام التي تقتلع النبات وتدوسها بأظلافها؛ ما يهتك ويدمر الغطاء النباتي، بينما الإبل تأكل قضمات بسيطة من النباتات الحولية، ثم تتنقل للأخرى، بأخفافها الأسفنجية المرنة التي لا تؤثر على هذه النباتات البرية، بل تحافظ على التنوع النباتي وتقاوم التصحر.»، لقي جوابي استحسانًا من بقية أعضاء اللجنة، وبالطبع لم يلقَ استحسان عضو اللجنة صاحب الموقف غير المتعاطف مع الإبل، وربما كان هذا سبب عدم قبولي حينها، لكنني تعلمت لاحقًا، بحصولي على درجة الدكتوراه، كيف أنتزع قرار الموافقة على قبولي، وتعلمت أيضًا كيف أصحح تلك المفاهيم غير الصحيحة الشائعة عن الإبل».

هكذا حاضر سند السبيعي محاضرة خاطفة، كانت أقرب ما تكون إلى دفاع عن الإبل التي عشقها، ليدفع عنها تهمة باطلة ألصقت بها، وهو رد يكشف لنا عن باحث مختلف في العلوم المرتبطة بالإبل، فالفارق كبير بينه وبين صاحب الرأي المهاجم للإبل، فمع أن الآخر أكاديمي كبير، إلا أنا طالب الدكتوراه تفوق عليه

بحجته التي لا يمتلكها إلا ابن بادية عاش بين الإبل، وراقبها طويلاً، وتأملها وهي تحافظ على البيئة النباتية بتحورها الطبيعي الذي زودها الله سبحانه وتعالى به لتكون كائنًا مثاليًا للعيش في البيئات الصحراوية، ليس فقط من أجل أن تتحمل فقر موارد الصحراء، ولكن، أيضًا؛ حتى لا تزيدها فقرًا.

❀ ❀ ❀

بدأت رحلة التأليف عن الإبل في مسيرة الدكتور سند السبيعي، قبل الحصول على درجة الماجستير، ما يلفت إلى امتلاك مبكر للقدرة على التفكير النقدي، ورغبة في الإنتاج العلمي والبحثي، لكنها مسيرة بدأت مع الإبل، الكائنات التي حازت حصة الأسد من مؤلفاته العلمية، وعندما سألنا الدكتور سند: لماذا معظم مؤلفاته عن الإبل؟ كان جوابه: «عندما لم يكتب الله لنا القبول لدراسة الماجستير بعد حصولي على البكالوريوس مباشرة؛ لقلة الأعداد المطلوبة للماجستير، وكانت عندي أمنية في آخر المرحلة الثانوية أن يكون عندي مؤلَّف يحمل اسمي ليبقى علمًا وأثرًا يُنتفع به من

بعدي. ولأن والدي كان يمتلك الإبل ويحبها، فكنت خلال الإجازة المدرسية وأنا بصحبته، أتأمل في هذه المخلوقات العجيبة، وكيف أن ابن البادية يحاول امتلاكها لتجود عليه بحليبها، وتحمله في أسفاره فتنقله من مكان لآخر، وكيف يأنس برؤيتها وحنينها وسيرها، وكيف يتعلق بها، حتى نجد من يتسمى بالإبل فيقال فلان كالجمل في صبره وقوته وعطائه، من هنا ترسخت في ذهني عجائب هذا المخلوق العظيم المعجز الذي ذكره رب الكون في كتابه الكريم، فبدأت أتسأل: لماذا لا يوجد مؤلف شامل أو كتاب يتطرق لهذا المخلوق ليعرف البشر أسراره وعجائبه والإعجاز في خَلقه وتكوينه ومنتجاته، هكذا كان شغفي بالتأليف عن الإبل يزداد يومًا بعد يوم، وأحسست بأنني إن أقدمت على مؤلف قيم عن الإبل، فإنني بهذا أكون قد أسديت صنيعًا للبادية وأهلها، وقبل هذا وبعده، لوالدي الذي عشق الإبل وأورثني عشقها، لذا بعد تخرجي في الجامعة، وامتلاكي أدوات البحث العلمي، وجدتني منجرفًا بقوة إلى الاطلاع على أسرار الإبل، وبدأت

أحدث نفسي: ما الذي يمنعني من الجمع بين معرفتي وحبي للإبل، والاستفادة مما توصل إليه العلم للكشف عن أسرار هذه الكائنات العجيبة وأسرارها وإعجازها العلمي، وبمساعدة أحد الزملاء انطلقت مستمداً العون من العلي القدير مع الرجوع لأساتذة الجامعة، فوفقت في تأليف مرجع شامل عن الإبل حمل عنوان (الإبل.. أسرار وإعجاز)، تطرقت فيه إلى جوانب متعددة عن حياة الإبل، وقد وفقني الله، فلم يضع الجهد الكبير الذي بذلته في هذا المؤلف، فتحقق له انتشار كبير، وحاز قبولاً داخل البلاد وخارجها، ولا أنسى في هذا المقام الإسهام المشكور والمقدر من أ.د.محمد الطريقي الذي آزرني ودعمني في هذا الجهد العلمي».

ومن الواضح أن المؤلف الأول للدكتور سند السبيعي، لم يكن كشفًا علميًا عن أسرار الإبل وحسب، بل كان كشفًا علميًا عن قدرات التفكير النقدي التي ولد بها، وطاقته البحثية المتوثبة، ورغبته الجارفة في البحث والكتابة والتأليف، فكان الكتاب انطلاقة لمسيرة علمية بحثية واصل من خلالها ما بدأه في كتابه الأول، يقول

الدكتور سند: ومع بداية مزاين الإبل أصدرت المؤلف الثاني (الإبل عز لأهلها)، ومع انتشار وسائل التواصل الحديثة أصدرت المؤلف الثالث (حب الإبل)، وهو كتاب إلكتروني ملون وشامل. أيضًا استثمرت ظهور شبكة الإنترنت في تأسيس موقع خاص للإبل بمجهود مشترك مع الزملاء، وأسهمت مع نادي الإبل في برنامج «ليالي الصياد»، كما شاركت في ملتقى جمعية الإبل الثاني، وفي ملتقى الإبل بالقصيم، وشاركت في مؤتمر بتونس عن سلوك الإبل».

وللدكتور سند السبيعي نظرة شاملة للإبل، من خلال تتبعه لكل ما يخصها، ليس على مستوى المملكة وحسب، بل على الصعيد العالمي، يقول: «دارت مؤلفاتي عن الإبل حول إبراز أوجه الإعجاز العلمي في خلق هذا المخلوقات المدهشة البديعة، وأيضًا حول فوائدها الاقتصادية المتعددة، فهي بمثابة مخزن للغذاء، ومصنع واعد للدواء، كما سعيت لإبراز الإبل بوصفها موروثًا ثقافيًا لبلادنا، تطلعًا لأن نقدمها بوصفها أيقونة حضارية عالمية، تمثل هويتنا الوطنية.

وإن ثقتي بلا حدود في الرهان على مستقبل الإبل في المملكة، وقدرتها على أن تصبح ثروة حيوانية متجددة ومستدامة، فقد أثبتت حضورها في المجاعة التي أصابت القارة الإفريقية، فكان لها دور محوري في حل مشكلة الأمن الغذائي هناك بعطائها وجودها بمنتجاتها الثمينة، ما دعا العالم إلى تخصيص عام للإبل يحمل اسم عام الإبليات، واختير العام ٢٠٢٤ موعدًا له».

هكذا أصبحت الإبل موضوع حياة ورسالة للدكتور سند السبيعي، لم يكتف في سبيلها بمؤلفاته وأبحاثه، أو الإسهامات التي سبق الإشارة إليها وحسب، ففي أثناء مرحلة حصوله على الدكتوراه، عمل على التوازي مع جهده في العمل على الرسالة، مع نخبة من أساتذة جامعة الملك سعود، على تأسيس أول جمعية مختصة بالإبل حملت اسم (الجمعية السعودية لدراسات الإبل)، فأصبح بذلك مؤسسًا لهذه الجمعية العلمية، وعضوًا بها، بالإضافة إلى انضمامه باحثًا مشاركًا في المشروع البحثي (مستخلص Whey بروتين من حليب الإبل للوقاية وعلاج مرض السكري) بالتعاون

مع فريق بحثي من جامعة الملك سعود، وبدعم من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، عام ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٥ م، وقد نشر البحث بالمجلات العلمية، فضلاً عن انضمامه باحثًا مشاركًا في فريق مدعوم من جهات حكومية لقياس تراكم الملوثات النفطية في الكائنات الحية على الساحل الشرقي ١٤٣٦هـ. وقد نشر البحث في الدوريات العلمية.

هكذا، وصل الحادي الصغير، سند السبيعي، بالإبل، إلى مضارب جديدة، لم تكن قد وصلت إليها من قبل، وأعاد اكتشافها بوصفها ثروة قومية، وأيقونة حضارية تراثية، وميدانًا للبحث العلمي الطَّموح، فكان نعم الحادي لمسيرة الإبل عبر التاريخ، في رحلة لن ينساها له قومه.

❀ ❀ ❀

واللافت في رحلة الدكتور سند السبيعي، صاحب المؤلفات عن الإبل، وعضو الكيانات العلمية والثقافية المتخصصة في شؤون الإبل، وابن أحد قدامى ملاك الإبل، لا يملك قطيعًا من الإبل، كان هذا موضع سؤال

ملح بعد هذه الرحلة الطويلة في دروب الإبل، لأحد أكبر عشاقها، فأجاب الدكتور سند: «ما من شك في أن امتلاك الإبل أمنية غالية وخصوصًا لمن ترعرع ومشى على أثر أخفافها بالرمال وعرف أسـرارها وتأمل في مكوناتها وعجائبها الغريبة، لكنني آثرت الاكتفاء من الإبل بحبها، وتسخير جهودي العلمية البحثية لخدمتها، وصدقًا لا يعنيني ما أمتلكه منها، بقدر ما يعنيني ما تمتلكه بلادي من هذه الثروة العظيمة، فلن ينقطع دعمي عن ملاك الإبل الذين لهم جهود مقدرة في الحفاظ على هذه الثقافة الأصيلة العريقة والثروة البيئية، وسأبقى سندًا لهم في مساعيهم المشكورة للعناية بها والإكثار من سلالاتها الثمينة. نعم أحب الإبل، لكنني أعبر عن هذا الحب في المعامل، حيث نجري الأبحاث العلمية ونخلص إلى الإرشادات اللازمة للعناية بمختلف نتاجها؛ لإبراز قيمة الإبل بوصفها موروثًا وثروة، وإيضاح جوانبها الإعجازية المبهرة التي توصل العلماء، فقط، لجزء بسيط منها، فيما تبقى هناك أسرار خفية تستحق التأمل وتقصي

الحقائق عنها؛ لمعرفة خصائصها ومنافعها الاقتصادية والطبية والغذائية المتنوعة للبشر قاطبة. إنني مهتم في المقام الأول بتحويل هذا الموروث الثقافي إلى حضارة شامخة عالميًا، تحمل هوية بلادنا، وتبقى كنزًا لأجيالنا في المستقبل. ونظرًا لاكتظاظ الوقت بالجهود والأنشطة البحثية والعلمية، فقد كان الخيار بين أن أمتلك عددًا من الإبل، وأتفرغ للعناية بها، أو أن أتفرغ للعناية بثروة بلادنا من الإبل، وأجدني مطمئنًا أكثر ومستمتعًا ومكتفيًا إلى حد الاستغناء، بالخيار الأخير.. خيار الوطن؟».

❀ ❀ ❀

لكنه لا اختزال عطاء الدكتور سند السبيعي في مؤلفاته عن الإبل، وغيرها من الأنشطة البحثية والثقافية التي دارت حول الإبل، فلم يكن ابن البادية الأصيل ليغفل الخيل التي خصها بمؤلف كامل، أما البيئة النباتية، فكانت العنوان الدائم لرحلة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، بل والأستاذية التي يقترب الآن من حمل لقبها، ويسابق الزمن في ماراثون أبحاث حتى يحمل

لقب الأستاذ الدكتور سند السبيعي، قريباً إن شاء الله، في مجال تخصصه الحيوي المميز.

ولقد بدأ عشق بيئة الصحراء والبادية والافتتان بها مبكرًا عند الطفل سند السبيعي، وهو يراقب كيف يتعامل قومه مع الطبيعة كما لو كانت مخزنًا للتداوي والتزين والعناية بالجسم. يقول الدكتور سند: «عندما كنت في المرحلة الابتدائية كانت إحدى قريباتي تأخذ من ورق السدر ثم تطحنه وتضعه بالماء بدلاً من الصابون لشعر رأسها، وكنت أراقب طريقتها باستغراب وأنا أشاهد الرغوة تطفو فوق الماء. وتساءلت في نفسي: لماذا هذه النبتة بالذات. وعندما أتجول في دهاليز الصحاري والسهول بأغنامنا أرعاها، كنت أراقب نباتاتها التي تنمو في قلب هذه الصحاري المقفرة، وأتساءل كيف نمت هنا وسط هذا الجفاف، وما الذي يمكن أن يستفاد منها. كنت أفكر في العلاقة بين سقوط الأمطار والأزهار التي تنمو فيها، وأتسأءل من نقل بذورها إلى هنا من الأساس؟».

كانت أسئلة كبيرة على طفل صغير، ولم يمكن يخطر للصغير سند على بال أن هذه الأسئلة ستكون موضوع رحلة حياته العلمية، أو ربما أن هذه الهواجس الصغيرة، وهذا العشق للصحراء، ما قاده إلى هذا التخصص العلمي الذي أحبه كما لو كان موهبة ولد بها. يقول: «شجرة السرح العملاقة من الأشجار التي كانت تبهرني بشموخها في أطراف الأودية والشعاب، وبقائها دون سقاية أو رعاية، تظلل البشر والدواب من حرارة الصيف الملتهبة. كانت هذه الشجرة العظيمة عشق أهل البادية، حتى إنهم كانوا يطلقون أسماءهم عليها، فيقال سرحة فلان؛ لكثرة منافعها، واحتمائهم بها من هطول الأمطار، وهبوب الرياح العاتية، ولهيب أشعة الشمس الحارة التي لا ترحم. وما إن امتلكت الأدوات البحثية، حتى بدأت الاطلاع والبحث عن هذه النباتات الصحراوية، وأسرارها، وكيفية تكيفها مع هذه الظروف البيئية الجافة القاسية؟ فكانت موضوع بحث تخرجي في الجامعة، إذ كان عن أهمية بعض النباتات الصحراوية لرعي الإبل، وقد فتح لي

هذا البحث آفاقًا واسعة في هذا المجال البيئي الحيوي المهم. ولله الحمد نشر البحث في مجلة علمية رصينة، وأصبحت من أوائل الطلبة الذين نشروا بحثهم العلمي في تلك السنة، وبفضل الله، فقد لقي هذا البحث صدى واسعًا واستحسانًا من المختصين بالبيئة، ثم عرفت الطريق بعد ذلك إلى نشر عدة مقالات علمية في مجالات البيئة وفي دوريات متعددة. ولم أكتف بهذا، فانخرطت في الدراسات والأنشطة البيئية النباتية، إذ سعيت لتبني وطرح فكرة ملتقى بيئي، وانضممت إلى الجمعيات البيئية التطوعية، حيث شاركت في ندوات متنوعة وورش عمل عن البيئة والمحافظة عليها، منها مشاركة إثر دعـوة تلقيتها من إحدى الدول العربية لحضور مشروع علمي ضخم طموح للمساهمة والأخذ بالرأي، ودعوات أخرى من أقصى شمال الوطن إلى جنوبه للتحكيم والاستشارة في برامج أكاديمية في الجامعات السعودية.»

هكذا بدأت رحلة الصغير سند السبيعي مع الغطاء النباتي والبيئة النباتية في الصحراء بمشاهدات طفل

صغير لديه قدرات تفكير نقدي عالية، لكن الرحلة ذهبت بعيدًا، بعد تطوير الصغير مواهب تفكيره النقدي، عامًا بعد عام، ومرحلة بعد مرحلة، فتواصل عطاؤه العلمي، حتى أصبح عضوًا ومستشارًا في إحدى الجهات الرائدة في هذا المجال البيئي الواعد الذي يرى الدكتور سند السبيعي أنه سيكون له مستقبل مشرق عالميًا، وأن المملكة ستكون من أهم وجهاته التي يراهن عليها.

# الحصاد

# الحَصاد

رحلة حيـاة حافلـة بالعمـل، والكفـاح، والإنتاج العلمـي، والوفـاء للباديـة وأهلهـا وكائناتهـا، قطعها الدكتور سند بن مطلق بن فارس السبيعي، لم تزل أمامه محطـات أخرى يتطلع إليها ابن البادية الوفي من نافذة قطار رحلته، تمثل أبرز حصادها حتى الآن في الآتي:

## مؤلفات وأبحاث

- كتاب «الإبل أسـرار وإعجاز»
- كتاب «الإبل عز لأهلها»

- كتاب «الخيل في نواصيها الخير»
- كتاب «حُب الإبل»
- «القيمة الغذائية للرمث والثمام وأهميتهما الرعوية للإبل»، بحث علمي منشور بالمجلة السعودية لعلوم الحياة.

## مشاركات ومناقشات

- مناقشة ثلاث رسائل علمية.
- تحكيم برامج أكاديمية بالجامعات السعودية.
- تحكيم مشاريع بحثية متعددة.

## شهادات تقدير

- شكر وتقدير من علامة الجزيرة العربية حمد الجاسر، رحمه الله.
- شكر وتقدير من وزارة البيئة والمياه والزراعة.
- شكر وتقدير من الملحق الثقافي بسفارة خادم الحرمين الشريفين بلندن.
- شكر وتقدير من مركز أبحاث الجِمال بالأحساء.

- شكر وتقدير من نادي الإبـــل.
- شكر وتقدير من جامعة الملك فيصل.
- شكر وتقدير من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.
- شكر وتقدير من جامعة الطائف.
- شكر وتقدير من جامعة تبوك.
- شكر وتقدير من الجمعية السعودية لدراسات الإبل.
- شكر وتقدير من جامعة الملك سعود.
- شكر وتقدير من جامعة جيزان.
- شكر وتقدير من جامعة شقراء.
- شكر وتقدير من جمعية آفاق خضراء البيئية.

## براءات الاختراع

- براءة اختراع سعودية في عام ٢٠٢١م (عصا طبية متعددة الأغراض).

# عـام الحـزن

# عام الحزن

على مدار عمر من افتقاد الوالد في أسفار عمله سواء في المنطقة الشرقية أو في الخرمة، لم يكن لدى الصغير «سند»، سند له في اشتياقه إلى أبيه الغائب، إلا أمه الحاضرة دائمًا، الحاضرة في الشرقية في أشهر غياب الأب، أمًا وأبًا له ولإخوته، الحاضرة في بيتهم الجديد الذي انتقلوا إليه في الخرمة في غياب الأب عند إبله وأغنامه، أمًا وأبًا، وفي أشهر الإجازة الصيفية تغمر الجميع بحبها وحنانها في صباحات منكهة بمذاق اللبن والقهوة اللذين تعدهما لإفطار، ظل أشهى وأطيب ما تحتفظ به ذاكرة الصغير سند الذي ظل صغيرًا عند قدمي أمه، حتى وهي جسد مُسجى.

كان الانهيار الأول في حياة سند السبيعي الذي كان يدرك بحاسة ابن البادية أن عليه أن يقف قويًا صامدًا وهو يتلقى عزاء أبيه؛ حتى يعلم الجميع أن الشيخ مطلق بن فارس السبيعي أنجب رجالاً أقوياء أصحاب جلد، وأيضًا حتى يكون سندًا لأمه في فقد شريك عمرها، ووالد أبنائها، لكن هذا الجلد تهاوى أمام فقد الوالدة التي وجدنا هذه الرسالة في رثائها بين الأوراق الشخصية التي طلبنا من الدكتور سند إطلاعنا على ما أمكن منها، وفق خطة البحث المعدة لكتابة سيرته. رسالة مبكية من ابن لأمه التي لن تقرأها، أو ربما أنه كان لديه أمل أن تصلها.

## الرسالة:
## ورحلت حبيبتي

عجيبة أيتها الحياة. أيامك الحلوة طعمها ينقضي، وأيامك المرة تقطع نياط القلب، غير أن المؤمن يحمد الله في السراء والضراء وأمره كله له خير.. حياة تسلب من الإنسان... من يعيش معهم.. من أحبهم.. من تأثر بهم.. لا فرق فيها بين كبير وصغيرً وغني وفقير.

جاءني خبر في معرض حياتي اتصال كأنه الصاعقة.. لم أستطع أن أتكلم أو أصف.. عجزت عبارتي عن أن تصف شيئاً وتلعثم لساني.. وأصبحت كطفل بريء صغير.. طفل أحب أمه من كل قلبه ولكنه فقدها وفقد حنانها.

جئت إلى المستشفى مسرعاً.. ورأيت شوارع مدينة الرياض يعلوها كدر وغبرة فتوقعت أنها حزنت لفراق والدتي كحزني..

نعم ودعت حياتنا الدنيوية الدنية والتي لا تخلو من مصائب ونوائب الدهر، وتركت في قلبي وقلوب محبيها جروحًا غائرة وأفئدة حزينة يصعب مداواتها.

ولن أنسى كرم أمي الغالية وسخاء نفسها الطيبة، فقد أودعت عندي مبلغًا من مالها الخاص ولم تتذكر كم هذا المبلغ حتى وفاتها.

ولا أنسى مقولتها التي ترددها دائمًا: «خذ ما شئت من مالي فالمال مالك».. تقول من طيبة نفس وشفقة بأولادها .

ومن مواقفها النبيلة التي يشهد لها القاصي والداني عندما يطرق باب منزلها العامر تصر على تناول القهوة مهللة ومرحبة بضيفها.

رحلت وتركت لنا متاعب الدنيا ولم يتعلق قلبها بزخارف هذه الحياة الدنيوية الفانية وزينتها.

وصدق الشاعر حين قال:

**وهـذه الـدار لا تبقي على أحـدٍ**
**ولا يـدوم على حـــال لهـا شـأنُ**

ما أشد ظلمة البيت بعد فراقك يا أماه، فلقد كنت شمسًا مشرقة تضيء لي كل شيء فيه، أما اليوم فلا ترى عيني في منزلك إلا سوادًا حالكًا مظلماً.

فاليوم الذي ودعناك فيه وفي تلك اللحظة التي قبلت فيها جبينك الطاهر وأنت مسجاة بعد تغسيلك وتكفينك، شدني وكل من سلم عليك من الأحباب والأهل، ذلك النور الذي شع من وجهك، والابتسامة التي أشرقت على وجهك المضيء.

أنت الآن يا أماه سكنتِ الثرى، لكنك سكنت قبله قلوبنا، وستظلين فيها، ندعو لك ما حيينا.

سلام على روح أمي الطاهرة، وجعل الله قبرك روحًا وريحانًا ورحمة من رب غفور رحيم.

ابنك المحب
**سند السبيعي**

# الخاتمة

# الخاتمة

يمكننا القول، استلهامًا من رحلة الأكاديمي السعودي الدكتور سند بن مطلق بن فارس السبيعي، إنها رحلة وطن صغير كان يتحرك به ابن البادية الوفي لها ولأهلها عبر محطات رحلته الطويلة الشاقة التي بلغها جميعًا بعزم ورغبة في التحقق والنجاح، وأنها لم تكن رحلته بمفرده، بقدر ما كانت رحلة للبادية ببشرها وشجرها وحجرها وكائناتها التي استحوذت على نتاجه العلمي الغزير الذي خرج محملاً بأختام هويته الوطنية، فلم تكن رحلته رحلة علمية، وحسب، بل كانت رحلة إلى

الجذور، جمع فيها بين الأستاذ الجامعي وابن البادية الذي سخر طاقاته وجهوده العلمية في خدمة مكون أصيل من مكونات الهوية الوطنية لبلاده.

ويمكننا القول أيضًا إن رحلة الدكتور سند السبيعي، تجسيد إنساني لإرادة أبناء هذا الوطن، وقدرتهم على تجاوز العثرات والمشاق التي يمكن أن تعطل مسيرة نجاحهم وكفاحهم، حتى بواعث الإحباط التي كانت تشده إلى الأرض، نجح بقوة في التغلب عليها، وعزم برجولة وهمة على مواصلة الرحلة، حتى بلوغ المحطة التي كان يتطلع إليها.

كذلك يمكننا القول إن رحلة الدكتور سند السبيعي تصوير مشهدي حي لكفاح شريحة من أبناء بلادنا، ولدوا في ظروف بالغة الصعوبة، في زمن لم يكن متاحًا فيه شيء مما هو متوافر الآن للأجيال الجديدة من أبناء الوطن، لذا تبقى هذه الرحلة مثالاً يحتذى بها، وحافزًا كبيرًا للأجيال الجديدة لخوض رحلة مماثلة، في ظل ظروف مواتية، فلا عذر لهم في الاسترخاء والدعة، بعد هذا الذي خاضه أسلافهم، تحت ضغوط

صعبة، وبإمكانات لا تكاد تذكر قياسًا إلى ما هو متوافر اليوم، فالعطاء للوطن ليس فرض كفاية، وعلى كل منهم أن ينظر ما الذي يمكنه أن يسهم به في سجل بلاده، تمامًا مثلما فكر وفعل الدكتور سند منذ كان في سن صغيرة.

وتبقى رحلة الدكتور سند السبيعي برهانًا، وشاهدًا، على جلد إنسان هذا الوطن، وعلى همته، وطموحه، وقدرته في الوقت نفسه على بلوغ غاياته، تحت ضغوط بالغة، ومهما كانت الظروف غير مواتية، وتبقى شاهدًا أيضًا على اعتزاز إنسان هذا الوطن بجذوره، وثقته بهويته، وانتمائه إليها، وحرصه على تسخير وجوده من أجل الدفاع عنها، وتقديمها للعالم بما يليق بها.

A HUMAN READING ON THE JOURNEY OF THE SAUDI ACADEMICIAN DR. SANAD MUTLAQ ALSOBEAI

سيــرة و مسيــرة

AUTOBIOGRAPHY

# طُمُـوحٌ وسنـام

قراءة إنسانية في رحلة الأكاديمي السعودي

**د .سند بن مطلق السبيعي**

رحلة طويلة بدأت محطاتها مبكرًا منذ سنوات الطفولة الأولى، قطعها الأكاديـمـي السعودي الدكتـور سنـد بن مطلق السبيعي، تعد بمثابة وصول لجيل كامل من أبناء هذا الوطن إلى أهدافه، متحديًا صعوبات وعوائق كانت كفيلة بإنهاء هذه الرحلة مبكرًا، لكن عزم ابن البادية الذي تربى على مجابهة الصعاب، وتحدى العوائق من أجل الوصول إلى أهدافه، وتشريف قومه، قال كلمته في الأخير، ووصل قطار سند السبيعي إلى محطته التي أرادها، ليس من أجل نفسه فقط، بل من أجل أبيه، بطل قصته الصعبة، والباعثة على الأمل في الوقت نفسه. وتبقى رحلة الدكتور سند واحدة من القصص الملهمة التي وقع اختيارنا عليها، وحرصنا على أن نقدمها للأجيال في هذا الإصدار من إصدارت مركز العالِم للتوثيق التنموي والإنساني.

أ.د. محمد الطريقي

العالـِـم Scientist
للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
for Press, Printing, Publishing & Distribution
رُخصت بموجب الأمر السامي الكريم رقم ( ٢٧٦٨ )
وترخيص وزارة الإ علام رقم ٩٥٨٥ / أ / ب